

لغز صواريخ الليل



محمود سالم

لغز صواريخ الليل

تأليف
محمود سالم



لغز صواريخ الليل

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٠ ١ ٢

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٥.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.

جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

٧	صواريخ الليل
١٣	حدث في تلك الليلة
١٩	البحث عن شخص مجهول
٢٥	صديق من السودان
٣١	اعترافات الفهود ... وبداية خطة
٣٧	حكاية بائع الزبادي
٤٣	يا حضرة الشاويش ... من فضلك!
٤٩	معركة الليل

صواريخ الليل

كان المغامرون الخمسة قد استعدّوا لهذه الليلة منذ فترة طويلة ... لقد كانت ليلة عيد ميلاد «لوزة»، وقد قرر «تختخ» و«محب» و«نوسة» و«عاطف» أن يقيموا لها حفلاً رائعاً ... واختاروا حديقة منزل «عاطف» لإقامة الاحتفال ... وكان كلّ منهم يعد للمغامرة الصغيرة مفاجأة كبيرة، ودعّوا جميعاً عدداً من أصدقائهم لحضور الحفل. وكان بين المدعوين «جلال» قريب الشاويش «علي»، و«وحيد» الولد المشلول الذي كان يتزعم مجموعة الفهود السبعة قبل حلّها، وفريد «الهارب» الصغير، وأخته «ليلي» الرقيقة التي تشبه الفراشة.

وكان والدا «لوزة» و«عاطف» خارج مصر في هذه الفترة، ولكنهما لم ينسيا أن يرسلوا برقية تهنئة إلى «لوزة» بهذه المناسبة السعيدة. وبينما جلست المغامرة الصغيرة تقرأ البرقية في غرفتها، كان العمل يجري في الحديقة للاحتفال المنتظر، وكان الجميع سعداء لأنهم يحتفلون بـ «لوزة»، ولم يكن ينقصهم سوى «زنجر» الذي تركه «تختخ» في حراسة الفيلا؛ لأن والديه كانا في المسرح.

وبدا كل واحد من المغامرين الأربعة يتكتم سر المفاجأة التي يعدها لـ «لوزة»، وكانوا يتبادلون الضحكات والقفشات وهم يعملون في تزيين الحديقة بالأنوار ... وقد قام «محب» الماهر جداً في الأعمال الكهربائية بتوصيل سلك الكهرباء من الفيشة الموجودة في الكشك الخشبي ... وبعد أن انتهى من مهمته، ضغط على زر فاشتعلت الحديقة كلها بالضوء، وبدا المنظر في غاية البهجة ...

وبدا وصول الضيوف ... جاء «فريد» وأخته «ليلي» يحملان هدية رائعة لـ «لوزة»، فهما لم ينسيا تحمس المغامرة الصغيرة للغز اختفاء «فريد» ... ثم حضر «جلال» قريب الشاويش ... ثم ظهر في مدخل الحديقة «وحيد» على كرسيه المتحرك، فأسرع إليه «تختخ»

مُرحَّبًا، وتوالى وصول أصدقاء الدراسة في فصل «لوزة» وفصل «نوسة»، وقال «محب» معلقًا: أعتقد أننا بعد هذه الحفلة يمكن أن نعمل منظمي حفلات.

ونزلت «لوزة» تلبس فستانًا بسيطًا من التيل ... وعندما ظهرت على سلالم الفيلا، وهي تخطو إلى مكان الحفل في الطرف المقابل للكشك الخشبي ... صفَّق الضيوف طويلاً ... وبدأ الاحتفال. فعزفت «ليلى» على الهارمونيكا لحن «عيد ميلاد سعيد»، وأخذت «لوزة» تسلم على الضيوف بسعادة؛ لقد أحسَّت أن كل هذا من أجلها، وشعرت أنها مدينة لكل الحاضرين بدَيْن لا يُنسى.

وقف بعض الضيوف حول الموائد الصغيرة، وجلس آخرون. وعندما أشرفت الساعة على العاشرة — وهي الساعة التي ولدت فيها «لوزة» — ظهرت أول مفاجأة، فقد أرسل المفتش «سامي» سيارةً وبها كعكة ضخمة عليها عدد من الشمع بعدد سنوات عمر «لوزة». وأشعلت «نوسة» الشموع، وجاء وقت إطفاء الأنوار ... وفجأة حدث شيء غريب! فقد انطلق من الكشك الخشبي صوت فرقعة ضخمة لفتت جميع الأنظار، وخرج على الفرقة عدد من الصواريخ الملونة، ملأت سماء الحديقة ... وضحك الجميع، وظن كل واحد من المغامرين الأربعة «تختخ»، و«نوسة»، و«محب»، و«عاطف» أنها مفاجأة واحد منهم، ولكن مع الفرقة حدث شيء آخر؛ لقد انطفأت الأنوار كلها، وظن المغامرون هذا مفاجأة أخرى، ولكن شيئًا ثالثًا حدث لم يكن من الممكن أن يكون مفاجأة مُفرحة؛ لقد شبت النار في أحد جوانب الكشك الخشبي! كانت النار خفيفةً ضعيفةً، ولكنها توشك أن تسري وتكبر! كان «عاطف» أقرب الموجودين إلى الكشك، فأسرع إليه، ورآه الجميع على ضوء الشموع وهو يجري ويدخل الكشك ... وبعد فترة تبعه «محب»، ومضت لحظات أخرى، وشاهد الموجودون جميعًا «محب» وهو يكافح النار وحده، وسرعان ما انضم إليه الباقيون.

لم ينضم «تختخ» إلى الذين جروا إلى الكشك، فقد أسرع إلى خرطوم المياه الملقى في أحد جوانب الحديقة، وربطه بسرعة في صنبور المياه، ثم جرَّه خلفه، وأسرع إلى الكشك، وأخذ يطلق الماء بشدة فوق النيران المشتعلة.

استطاع «تختخ» — بالمياه، ومساعدة الأصدقاء — أن يطفئ النيران سريعًا ... وأسرع «لوزة» تضيء أنوار الفيلا، وأحضرت بطارية، وجرت هي الأخرى إلى الكشك، وعلى ضوء البطارية استطاع «محب» أن يرى أن بعض الصواريخ أصاب فيشة الكهرباء، فأشعل النيران في الكشك الخشبي.

أخرج «محب» معداته، وأخذ يصلح الفيشة التي احترقت أسلاكها، وطلب «تختخ» من الموجودين العودة إلى مكان الاحتفال، وبعد دقائق استطاع «محب» أن يعيد التيار الكهربائي، وغمر الضوء المكان، وعادت الابتسامات والضحكات إلى الجميع. ولاحظت «لوزة» أنّ «عاطف» غير موجود، ولكنها سكتت ومضت تحيي الضيوف، وبعد لحظات أدرك الجميع غياب «عاطف»، وقال «وحيد»: أين «عاطف»؟ إنه منذ اتجه إلى الكشك الخشبي لم يظهر!

ابتسم «محب» قائلاً: إنها بالتأكيد إحدى مفاجآت «عاطف»، فلا بد أنه سيظهر فجأةً ومعه شيء ما، أو في ملابس غريبة!

اطمأن الجميع إلى هذا التفسير عدا «تختخ» الذي أخذ يفكر فيما حدث ... هل كانت الصواريخ مفاجأة «عاطف»؟! فإذا كانت كذلك، فلماذا اختفى؟! ومضت الدقائق والجميع يضحكون، ولكن «تختخ» استولى عليه القلق، وأخذ ينظر في وجوه الأصدقاء «لوزة» و«محب» و«نوسة»، وأدرك على الفور أنهم جميعاً قلقون، وأنهم يبتسمون فقط مجاملةً للضيوف. وعندما قاربت الساعة من منتصف الليل، بدأ الضيوف في الانصراف، ووقف المغامرون الأربعة يودّعونهم ويشكرونهم على تلبية الدعوة، وعلى الهدايا التي أحضروها. بعد أن انصرف الجميع، قالت «لوزة»: ماذا حدث؟ أين «عاطف»؟

ولم يرد أحد ... ولكن «تختخ» اتجه مسرعاً إلى الكشك الخشبي ... وأضاء النور فيه، ثم أخذ يفتشه ... ولكن «عاطف» لم يكن موجوداً. كان الكشك يوازي في أحد جوانبه سور الحديقة، وبينهما مسافة لا تزيد على نصف متر، وبعد السور كانت هناك أرض خالية حولها سور. ودار «تختخ» حول الكوخ، ثم نظر إلى الأرض الفضاء، ووقف يفكر ... أين ذهب «عاطف»؟

ولحق به بعد لحظات «نوسة» و«محب» و«لوزة»، ولاحظوا الوجوم الذي يغطي وجهه، وأدركوا أن غياب «عاطف» ليس مفاجأةً مفرحةً، ولكنه شيء خلفه أسباب غامضة. قال «محب»: ماذا تتصور يا «تختخ»؟

رد «تختخ»: الحقيقة أنني لا أستطيع أن أتصور أي شيء ... لقد توقعت في البداية أن يكون غياب «عاطف» أحد مقابله المعروفة ... ولكن الغياب طال أكثر مما ينبغي، ولو كان يريد أن يجعلها مفاجأةً لظهر عند نهاية الحفل مثلاً!

أدار «محب» عينيه في الكشك، ثم قال: لا أثر له هنا!

تختخ: لا أثر مطلقاً!

نوسة: الشيء المدهش أنه لم يغب عن أنظارنا سوى لحظات قلائل؛ فعندما انطفأ النور واشتعلت النار الضعيفة شاهدناه جميعاً وهو يدخل الكشك ... وبعدها ذهب «محب». هل رأيته يا «محب»؟

محب: مطلقاً ... لقد انشغلت بإصلاح الكهرباء ... فلم أفكر فيه ... وبالطبع لم أكن أتوقع ما حدث!

تختخ: معنى ذلك أن «عاطف» اختفى في الدقائق القليلة بين دخوله الكشك وبين وصول «محب» إليه ... شيء لا يصدق ... تعالَ معي يا «محب».

كانت «لوزة» تقف ساكنة، وقد بدا عليها الحزن ... كانت تفكّر كيف انتهت هذه الليلة — التي بدأت في غاية البهجة — هذه النهاية التعسة.

تبع «محب» «تختخ»، فقفزا إلى أعلى السور الذي يفصل بين الأرض والفرغ، وبين حديقة منزل «عاطف» ... وعلى ضوء البطاريتين وضوء الشارع أخذوا يفحصان الأرض التي بجوار الكشك الخشبي، ولكن لا شيء كان هناك. سارا حتى تجاوزا الأرض الفضاء ثم قفزا إلى الشارع. وعادا مرةً أخرى إلى حديقة منزل «عاطف»، وكانت «لوزة» و«نوسة» تجلسان صامتتين ... وبقايا الحفلة ما زالت في مكانها على الموائد، و«حفيظة» الشغالة تقف ساكنةً في انتظار ما سيحدث ... لقد أحسّت أن غياب «عاطف» عن المكان شيء غير عادي، وإن كانت قد تعودت غيابه في بعض الأحيان.

جلس «محب» و«تختخ» بجوار «نوسة» و«لوزة»، وهبط الصمت على الجميع ... وكل منهم يداعبه الأمل أن يظهر «عاطف» فجأةً حاملاً إحدى مفاجآته ... ولكن الوقت مضى دون أن يظهر المغامر خفيف الدم.

قال «تختخ»: تعالوا نرفع بقايا الحفل، ثم نرى ما يمكن عمله. وبدأ الجميع يعملون، وكأنهم يجدون في العمل طريقةً لنسيان الحقيقة المفزعة. إن «عاطف» اختفى في ظروف غامضة ... وفجأةً قال «تختخ»: «محب» ... هل أنت صاحب فكرة الصواريخ؟

رد «محب»: مطلقاً ... لست أنا ... لقد تصورتُ أنه أنت! تختخ: أبداً ... لقد توقعت أن تكون أنت لأنك الذي كنت تُشرف على تركيب الكهرباء، وقضيت في الكشك وقتاً!

محب: لقد دخلت الكوخ مرتين فقط ... مرةً في الصباح لأفحص الأسلاك، ومرةً في التاسعة لإعداد الإضاءة في مكان الحفل.

نظر «تختخ» إلى «نوسة»، فقالت: لست أنا!

تختخ: هل تظنين أنه «عاطف»؟
نوسة: لا أدري ... ولكن لو أن «عاطف» اشترى الصواريخ لعرفت، فإنني أحمل
مصري وفي ومصروفه أيضًا!
تختخ: شيء محير ... محير جدًا!
محب: هل فحصت الكوخ جيدًا؟
تختخ: بقدر ما تسمح الأضواء، ولكنني سأفحصه مرةً أخرى في الصباح ... ولكن
ماذا تتوقع؟
محب: لا أدري ... ولكن لا بد أن «عاطف» ترك أثرًا ما ... لا بد أن يوجد في الكشك
شيء يدلنا. إنه لم يتلاش في الفضاء، ولم يُعْص في الأرض!
وصمت «محب» لحظات، ثم قال بانفعال: هل فحصت الأرض تحت الكشك؟
تختخ: لا!
محب: إن هناك مسافة نحو نصف متر بين أرض الكشك الخشبية والأرض ... ربما
كان «عاطف» هناك!
تختخ: وماذا يُبقيه في هذا المكان ... وكيف وصل إليه؟
محب: لا أدري ... ربما ... ربما!
وقام الأربعة مسرعين، وقد عاد الأمل إلى قلوبهم أن يجدوا «عاطف»، وحدثت «لوزة»
نفسها قائلةً: ربما كان مغمى عليه في هذا المكان ... ربما!
ووصلوا إلى الكشك الخشبي ... وانبطح «محب» تحت الأرضية، ثم زحف داخلًا،
وأضاء مصباحه، وأخذ يُطلقه هنا وهناك.
وقالت «لوزة» — تسأله بصوت تخنقه الدموع: هل وجدت شيئًا؟
وجاء صوته حزينًا: لا شيء ... لا شيء على الإطلاق!
وأحسَّت «لوزة» بقلبها يدقُّ بشدة، كأنه سيخرج من صدرها ... إن «عاطف» بالنسبة
لها ليس مجرد أخ ... ولكنه صديق عظيم ... ومغامر من طراز رفيع ... وولد خفيف
الظل، رائع الطُّرف، يحبه كل من يعرفه.
واعتمدت «لوزة» أنه قد لا يعود أبدًا، وأسرعت تجفَّف دموعها التي سالت بغزارة على
خدها.

حدث في تلك الليلة

خرج «محب» من تحت الكشك، وقد تعفّر وجهه وملابسه ... ووقف «تختخ» ينظر إليه ولا يكاد يراه ... لقد تزامحت في رأسه الأفكار حتى نسي ما حوله ... إن سر اختفاء «عاطف» الغامض شيء لم يحدث مثله من قبل في عشرات المغامرات التي خاضوها ... و«عاطف» ليس بالولد العادي ... إنه مغامر ممتاز، فكيف اختفى هكذا؟ لقد أصبح من المستبعد تمامًا أن يكون قد اختفى بإرادته ... فمهما كانت المفاجأة التي يُعدّها فلا يمكن أن تكون بهذا الأسلوب المفزع ... وبخاصة أن الساعة قد اقتربت من الواحدة بعد منتصف الليل.

ثم هذه الصواريخ ... هل هناك علاقة بينها وبين اختفاء «عاطف»؟ لقد أنكر المغامرون أنهم أصحاب هذه الفكرة العجيبة التي ظنّها كل واحد منهم مفاجأة من الآخر، وحتى لو كانت من مفاجآت «عاطف»، فلماذا اختفى بعدها مباشرة؟! وأخذ «تختخ» يفكر في احتمال أن يكون أحد ضيوف الحفل هو الذي أعدّ مفاجأة الصواريخ. لماذا لم يقل بعد انتهاء الحفل؟!

هل هو «جلال» قريب الشاويش «فرقع»؟ ولكن «جلال» صديقهم، ولو فعل هذا لأخبرهم. هل هو «وحيد» المشلول؟ هل «فريد»؟ هل هو واحد من بقية الأصدقاء الاثني عشر الذين حضروا الحفل؟!

والتفت «تختخ» إلى «محب» قائلاً: هل تظن أن الصواريخ مفاجأة من أحد الأصدقاء الذين ضمّهم الحفل؟

كان «محب» ينفُض ثيابه، وهم يتجهون جميعاً إلى وسط الحديقة، فقال: ربما ... ولكن هل تظن أن هناك علاقةً بين الصواريخ الملونة وبين اختفاء «عاطف»؟
تختخ: أظن ... نعم أظن، فقد ارتبط الحادثان أحدهما بالآخر، الصواريخ ... ثم اختفاء «عاطف»!

نوسة: والنار التي شبت في الكشك؟
تختخ: نعم ... والنار أيضاً ... هل كانت مدبرة؟
لوزة: لا أعتقد ... إن من أطلق الصواريخ لا يمكن أن يضمن أن تتصل بالأسلاك الكهربائية وتُحدث الحريق.
تختخ: من أطلق الصواريخ؟ كيف نسينا أن هذه الصواريخ لا تنطلق من تلقاء نفسها ... فلا بد أن شخصاً أشعل الفتيل!

محب: هذا يعني على الفور أن الصواريخ ليست من إعداد أي واحد من المدعّوين، كما أنها ليست من إعداد «عاطف» ... فقد كنا جميعاً نقف وجهاً لوجه عندما انطلقت الصواريخ فجأة!

تختخ: هذا يعني أن شخصاً مجهولاً هو الذي وضع الصواريخ ثم أشعلها!
نوسة: طبعاً!

تختخ: وهل كان هذا المجهول يضع خطة لإخفاء «عاطف»؟
نوسة: ليس «عاطف» بالتحديد، ولكن أي واحد يقترب من الكوخ في هذه اللحظة.
لوزة: ولكن لماذا؟! إننا في هذه الفترة لسنا مشتبهين مع عصابة من اللصوص ... ولسنا وراء لغز ... فلماذا؟!!

تختخ: هذا هو السؤال ... لماذا؟
محب: لا بد أن نعيد فحص الكشك في الصباح، لنعرف كيف وضعت الصواريخ وكيف أطلقت؛ ربما ساعدنا هذا على تحديد ما حدث!

تختخ: هناك شيء آخر ... هل اشترى المجهول هذه الصواريخ من المعادي؟ إذا كان قد اشتراها من المعادي فمن السهل الوصول إليه ... فهي كمية كبيرة، والمحلات التي تبيع هذه الصواريخ في المعادي محدودة ... ومن الممكن معرفة أوصاف هذا الشخص!
نوسة: هذا معقول جداً، ولكن ...

محب: ولكن ماذا؟

نوسة: ولكن قد يعود «عاطف» الآن ... أو في الصباح!

صمت الجميع ... لقد كانوا يخشون جميعاً ألا يعود «عاطف» هذه الليلة ... وربما يطول غيابه ليالي كثيرة أخرى! كانوا متأكدين أن ثمة تدبيراً إجرامياً وراء حادث اختفاء «عاطف» المريب ... واتجه تفكير «تختخ» إلى العصابات التي أوقعوا بها في أيدي رجال الشرطة، والمجرمين الذين ساعدوا في القبض عليهم، وأخذ يفكر ... هل هو انتقام؟ ولكن هذه الخطة غير معقولة ... كيف يفكر شخص في خطف «عاطف» أمام كل هؤلاء الضيوف، وقد كان في الإمكان أن يراه أي واحد منهم. وقد كان من الممكن أن يُسرع إلى الكشك ساعة اشتعال النيران واحد من الضيوف، وليس أحد المغامرين الخمسة. فهل كان المجهول يريد خطفَ أي شخص؟ غير معقول!

إذن فهو يريد أن يخطف واحداً من المغامرين الخمسة ... ولكن لماذا؟ هل يطلب فديةً مثلاً؟! كانت هناك عشرات الأسئلة، ولم تكن هناك إجابة واحدة معقولة. وفجأة حدث آخر ما كانوا يتوقعون!

سمعوا صوت سيارة تقف، والتفتوا جميعاً، فإذا بهم يشاهدون المفتش «سامي» بقوامه الفارغ يدخل من باب الحديقة. كانت مفاجأة مذهشة، وتصوّروا أنه جاء بخصوص اختفاء «عاطف».

كان المفتش يبتسم ... ولكنه كان يبدو مُتعباً ... ووقفَ المغامرون الأربعة يُرحّبون به، فاحتضن «لوزة» قائلاً: كل سنة وأنتِ طيبة.

قالت «لوزة»: شكراً ... لقد وصلتنا الكعكة الرائعة!

نظر إليهم المفتش، ولاحظ على الفور أنهم ليسوا في حالة عادية؛ فقال: ماذا حدث؟! إن شكلكم لا يدل على أنكم قضيتُم سهرة ممتعة!

نظر المغامرون الأربعة بعضهم إلى بعض، وفي تلك اللحظة ظهر الشاويش «فرقع» يحمل في يده بعض الأوراق ... وبدأ للأصدقاء أن الدنيا قد انقلبت أمامهم ظهرًا على عقب. ما معنى ظهور المفتش «سامي» في هذه الساعة ... وماذا جاء بالشاويش؟ وما هي هذه الأوراق التي يحملها تحت ذراعه؟!

ماذا جرى في الدنيا؟! هكذا قالت «نوسة» لنفسها. وفجأة قال «تختخ»: هل حضرت لتهنئة «لوزة» بعيد ميلادها؟

المفتش: في الحقيقة لا، كنت ماراً أمام الحديقة، فشاهدت الأنوار ما زالت مضاءة، فتصورت أنكم ما زلتُم ساهرين، وقد وجدتمكم — لدهشتي الشديدة — ساهرين فعلاً. تختخ: إذن فأنت تعرف ماذا حدث هنا؟

المفتش: لا! ماذا حدث؟

تختخ: لقد اختفى «عاطف»!

نظر المفتش حوله، ثم قال: فعلاً، إنني لا أجد «عاطف» بينكم، وذلك شيء غريب ...

تختخ: لقد اختفى «عاطف» منذ أكثر من ثلاث ساعات.

المفتش: ولكن «عاطف» مشهور بمقالبه، ربما كان هذا مقلباً أو مفاجأة مُدبَّرة.

تختخ: الحقيقة أننا فكرنا كما فكرت، ولكنه لم يكن محتاجاً إلى ثلاث ساعات كاملة

لإحداث مفاجأة. إننا نشك!

المفتش: تشكُّون في أي شيء؟

تختخ: نشك في أن هناك تدبيراً إجرامياً خلف اختفائه.

بدأت علامات الاهتمام على وجه المفتش، وقال: ما هي أدلة هذا التدبير الإجرامي؟!

وأخذ «تختخ» يروي للمفتش ما حدث ... منذ اللحظة التي بدأت فيها الحفلة ... حتى

انفجار الصواريخ، واختفاء «عاطف»، والبحث عنه ... والاستنتاجات التي دارت بأذهانهم،

والأفكار التي ناقشها.

ظل المفتش صامتاً يستمع وهو يُدير في ذهنه كل هذه المعلومات ... ثم قام لمعاينة

الكشك، وتبعه الشاويش «فرقع» والأصدقاء ... وبرغم المعاينة الدقيقة التي قام بها المفتش،

لم يخرج بشيء ... تماماً كما حدث للمغامرين.

قال «تختخ» يسأل المفتش: ولكن ما سبب حضورك المتأخر إلى المعادي؟

المفتش: حادث سرقة وقع قريباً منكم.

اندفعت «لوزة» — كعادتها — قائلة: سرقة! لغز!

المفتش: حتى الآن ليس هناك لغز ... إنه حادث سرقة عادي جداً، ولكن قيمة

المجوهرات والنقود المسروقة كبيرة للغاية!

تذكرت «لوزة» غياب «عاطف» فسكتت، ولم تستمر في سؤال المفتش كما اعتادت أن

تفعل في مثل هذه الظروف، وعاد الحزن يعتصر قلبها، ولكن «تختخ» عاد يسأل: في أي

منزل وقعت السرقة؟!

المفتش: في منزل التاجر الثري «سليم حمزاوي» ... وكان التاجر هو وزوجته وأولاده

قد خرجوا وتركوا الفيلا التي يسكنون بها وليس فيها إلا البواب والشغالة «حسنة»، وعندما

عادوا لم يجدوا البواب في مكانه عند الباب ... وعندما دخلوا المنزل فوجئوا بالشغالة مُغمى

عليها، وقد سرق اللصوص كمية ضخمة من المجوهرات والنقود ... فأخطروا الشاويش

«علي» الذي قام بالمعاينة، ثم اتصل بي في المنزل، فحضرتُ وقمت بالإجراءات المعتادة.

وللأسف ما زالت الشغالة واقعةً تحت تأثير مخدّر شديد، وقد نقلناها إلى المستشفى، ولكن الأطباء أكدوا أنها لن تستيقظ قبل الصباح.

وسكت المفتش لحظات، ثم عاد يقول: وقد قام رجال المعمل الجنائي — كالمعتاد — برفع البصمات من الأماكن التي كانت بها المجوهرات والنقود، وفي الصباح سوف نستجوب الشغالة ونقارن البصمات، لعلنا نصل إلى اللصوص.

تختخ: إنني أعرف فيلا «حمزاوي» ... إنها على مَبْعَدَةٍ ثلاثة منازل من منزل «عاطف»، وهي فيلا كبيرة صفراء اللون.

المفتش: بالضبط ... والشئ الغريب أن الفيلا نفسها تعرضت للسرقة من قبل، واستطعنا الوصول إلى اللصوص. ونصحنا «حمزاوي» ألا يحتفظ في منزله بهذه المبالغ الكبيرة، وهذه المجوهرات الكثيرة، ولكنه وقع في الخطأ نفسه!

تختخ: كنت أتمنى أن يتدخّل المغامرون الخمسة للوصول إلى اللصوص، لولا أننا فعلاً في حالة ذهول لغياب «عاطف» ... غير المعقول!

المفتش: سوف أذيع نشرةً بأوصافه ... وسنقوم بحملة واسعة للبحث عنه، وأرجو أن تَطْمَئِنَ والديه أننا سنفعل المستحيل لنعيده.

تختخ: إن والديه لحسن الحظ مسافران خارج الجمهورية، وأرجو أن نتمكن من إعادته قبل أن تنتهي إجازتهما خارج البلاد.

غادر المفتش الحديقة ومعه الشاويش «علي»، بعد أن أخذ معه بعض صور «عاطف»، وجلس المغامرون الأربعة — بعد أن أطفئوا الأنوار — يتناقشون، وعندما أشرفت الساعة على الثالثة صباحاً، قالت «نوسة»: أليس من الأفضل أن ننام؛ حتى نبدأ من الصباح الباكر البحث عن «عاطف»؟

تختخ: أعتقد أننا يمكننا أن نقضي الليلة جميعاً هنا، فوالدي والديتي يعلمان أننا نحفل بعيد ميلاد «لوزة»، وأظنهما لن يعترضا على قضائي الليل هنا.

محب: وكذلك أنا و«نوسة» ...

وقام الأصدقاء الأربعة ودخلوا الفيلا ... وألقوا نظرةً أخيرةً على مكان الحفل، الذي بدأ في غاية البهجة، وانتهى في غاية الحزن. وكان كل منهم يتمنى في هذه اللحظة أن يظهر «عاطف» فجأةً من بين المقاعد والموائد ... ولكن حتى آخر نظرة لم يكن «عاطف» قد ظهر.

وعندما أغلقوا باب الفيلا خلفهم ... التفتت «لوزة» إلى «تختخ» فجأةً، وقالت: لا أدري لماذا أفكر في شيء قد يبدو لكم لا يُصدّق؟

تختخ: ما هو؟

لوزة: أحس أن هناك علاقةً لا أستطيع الآن تفسيرها بين غياب «عاطف» المفاجئ،
وبين حادث السرقة الذي وقع في فيلا «حمزاوي».
نظر إليها الأصدقاء في دهشة ... فقد كان ذلك شيئاً مستحيلاً!

البحث عن شخص مجهول

استيقظ الأصدقاء في صباح اليوم التالي على تليفون من «وحيد»، وكان «وحيد» صديقًا عزيزًا للمغامرين الخمسة، بعد أن اصطدموا به في مغامرة الفهود السبعة، وانتصروا على مجموعته، ولكنهم عاملوه بمحبة وتقدير. رد «محب» على التليفون، وكان «وحيد» يسأل: هل عاد «عاطف»؟ وعندما علم أنه لم يعد، قال مقترحًا: ما رأيكم في أن نُجنّد «الفهود السبعة» في البحث عنه؟

رد «محب»: سأسأل «تختخ» وأرد عليك بعد لحظات.

كان بقية المغامرين قد استيقظوا ... وأعدت الشغالة الإفطار والشاي، وبعد مناقشة قصيرة بين «تختخ» و«محب»، قال «تختخ»: اطلب منه أن يقوم أعوانه من الفهود السبعة بالمرور على جميع المحلات التي تباع الصواريخ؛ ليسألوا عن الشخص الذي اشترى هذه الكمية الضخمة منها ... إن العثور على هذا الشخص قد يكون بدايةً لا بأس بها للبحث عن «عاطف».

اتصل «محب» بـ «وحيد»، وأخبره بما قاله «تختخ»، ثم نزل المغامرون الأربعة إلى الحديقة، وأسرعوا إلى الكشك الخشبي. كانت آثار النيران واضحةً، ولكن لم تكن كبيرةً ... ووقف «تختخ» في وسط الكشك يتأمل ما حوله، وقُرب «فيشة» الكهرباء على أرضية الكشك، وجد مكان حزمة الصواريخ، فقد كانت آثار احتراقها على الأرض واضحةً. وقال «محب» — مشيرًا إلى جانب الكشك: هذا هو اتجاه الصواريخ. لقد انطلقت بحيث تخرج من الباب، ولكن جزءًا منها اتجه إلى أسلاك الكهرباء، وحدث الحريق.

قالت «لوزة» ملاحظةً — وهي تشير إلى النافذة: إننا عادةً نغلق النافذة، وأرجح أن فتحتها له علاقة باختفاء «عاطف». وأطل «تختخ» من النافذة، ثم مال على الأرض، وأخذ يُحدّق في أرض الكشك، ثم أمسك ببضع وريقات خضراء رفيعة من ورق الحشيش الذي

ينتشر في الحقائق، وأخذ يفحصها، ثم عاد ينظر من النافذة، ولاحظ أن حافة النافذة الخشبية بها آثار احتراق، وظن أولاً أنه من أحد الصواريخ التي انطلقت خطأً، ولكنه عندما أطل خارج النافذة، لاحظ أن الاحتراق يمتدُّ إلى مسافة حوالي ثلاثين سنتيمتراً على جدار الكشك الخشبي.

في تلك الأثناء كان «محب» يدور حول الكشك، ومال على الأرض يبحث عن آثار أقدام ... وقد وجد ما يمكن أن يكون آثاراً ... فقد كانت الأعشاب الكثيفة خلف الكشك — في المسافة بينه وبين الجدار — ملتوية في عدة أماكن. وأخذ «محب» يفحص الأعشاب بدقة، ويمد يديه خلالها، باحثاً عن أي شيء يمكن أن يكون أثراً أو دليلاً ... وفجأة عثر أصابعه على شيء، إنه مسدس! ولم يصدق «محب»، وأسرع يُخرج المسدس من بين الأعشاب ... كان مسدساً صغيراً لامعاً، واضح أنه لم يُستخدم من قبل!

وأسرع «محب» إلى «تختخ» و«نوسة» و«لوزة» يحمل المفاجأة ... وأمسك «تختخ» بالمسدس، ثم وزَّنه في يده ... وفجأة أطلقه ... ودوى الصوت في الكشك دويّاً شديداً، وفزعت «نوسة» و«لوزة»، وقال «تختخ» — وهو يشم رائحة البارود المتصاعد من فوهة المسدس: إنه مسدس صوت ... يصدر صوتاً عالياً مثل صوت الرصاصة ... ولكنه لا يُطلق شيئاً!

نوسة: وما معنى وجوده في هذا المكان؟

أخذ «تختخ» يفكر لحظات، ولكن «لوزة» قالت: أعتقد أنه كان هدية «عاطف» لي، وربما فُكِّر أن يختبئ ثم يطلق منه بضع طلقات في أثناء الحفل لإثارتنا، وتكون هذه هي مفاجأته.

قال «تختخ»: تفسير معقول جداً!

محب: وهل يعني هذا أن «عاطف» كان يختبئ بين الأعشاب لإحداث المفاجأة، عندما هاجمه شخص أو أكثر وخطفوه؟

تختخ: من يدري ... لعلَّ هذا يكون صحيحاً! على كل حال؛ دعونا نستمر في البحث. وقام الأربعة مرةً أخرى، فانتشروا في الكشك الخشبي وحوله ... وتتبع «تختخ» آثار الحريق التي وجدها على النافذة. كانت كما رأى من قبل، تمتد مسافة ٣٠ سنتيمتراً على جدار الكوخ ... ومعنى هذا أنها ليست صاروخاً؛ لأن الصواريخ انطلقت في اتجاه الباب ... فمن أين جاء أثر النار في النافذة وفي جانب الكشك؟!

أخذ «تختخ» يفكر في الشخص المجهول الذي دخل الكشك ... إنه بالطبع لم يدخل من باب الحديقة ... لقد قفز من أعلى السور، ثم دخل الكشك من الباب الذي كان مفتوحاً،

ووضع الصواريخ في أحد أركان الكشك المظلمة، ووجَّهها ناحية الباب المفتوح. فهل أشعلها فوراً؟ أو أنه وضعها في وقت مبكر من الليل، ثم عاد لإشعالها عندما بدأت الحفلة؟ المعقول أن يكون قد وضعها أولاً، وانتظر في مكان ما حتى بدأ الحفل، ثم أشعل الصواريخ ... ومعنى ذلك أنه كان موجوداً في مكان قريب من الحفل.

سؤال ثانٍ ... هل عاد يقفز فوق السور لإشعال الصواريخ؟! إنه في هذه الحالة يُعرِّض نفسه لأن يراه أحد الموجودين، بعد أن أضاء «محب» الأنوار كلها وغرقت الحديقة في الأضواء ... الاحتمال المعقول أكثر هو أن يكون قد أوصلها بفتيل، ومد الفتيل من النافذة إلى خارج الكشك من الناحية الموازية للسور، وهي ناحية مظلمة لا تصل إليها الأضواء، ثم أشعل الفتيل. وهذا سبب وجود آثار الإشعال على جانب الكوخ المواجه للسور، ثم على حافة النافذة.

عقد المغامرون الأربعة — بعد نصف ساعة — اجتماعاً للمناقشة، وروى لهم «تختخ» استنتاجاته، وكان «محب» مشغول البال بالآثار التي وجدها على الأعشاب في الممر الرفيع الذي يفصل بين الكشك الخشبي والسور ... وقال عندما جلسوا: إن هناك آثاراً لشخص أو أكثر كانوا في الممر الضيق خلف الكشك!

تختخ: لقد رأيتموها ... أليست الأعشاب الملتوية هناك؟
محب: نعم ... ما رأيك؟

تختخ: للأسف، إن الأعشاب لا تُبدي آثار الأقدام ... وأنا أتصور أنها آثار أقدام الشخص المجهول الذي أشعل الصواريخ.

محب: أخالفك في الرأي في هذا الاستنتاج يا «تختخ»، إنني أتصور أن الذي قام بخدعة الصواريخ ليس رجلاً.

تختخ: لا أفهم ماذا تعني!

محب: إنها فكرة صبيانية. إنها تفكير ولد صغير!

تختخ: أوافقك أنها تفكير ولد صغير ... ولكن هل الولد الصغير هذا هو الذي خطف «عاطف»؟ أظن أن هذا مستحيل!

ضرب «محب» جبهته بيده، وقال: شيء محير فعلاً ... إن الذي قام بخدعة الصواريخ طفل، ولكن الذي خطف «عاطف» لا يمكن أن يكون طفلاً.

نوسة: لماذا تتحدثون عن الخطف؟ أليس من الممكن أن يكون «عاطف» قد تبع شخصاً أو أشخاصاً لسبب ما؟

تختخ: ولماذا لم يعد حتى الآن؟

سكت الجميع، وظهر الشاويش «علي» عند باب الحديقة، وأخذ يقترب وقد بدا مهمومًا، ولكن المغامرين الأربعة كانوا أكثر همًّا؛ فهذه أول مرة في حياتهم يصل التحدي إلى خطف واحد منهم دون سبب واضح. لقد خُطف كلُّ واحد منهم مرةً أو أكثر ... ولكن في أثناء اشتراكهم في المغامرات والألغاز ... ولكن هذه المرة يختفي أحدهم بلا سبب!

وصل الشاويش إلى حيث يجلسون، وجلس ... وقال بصوت حزين: ألم يظهر «عاطف» بعد؟ أدرك الأصدقاء أن الشاويش يشاركونهم حزنهم ... فقال «تختخ»: إنه لم يظهر بعد يا شاويش!

الشاويش: شيء غير معقول ... هل أنتم متأكدون أنكم لا تقومون بإحدى مغامراتكم الغريبة؟

تختخ: إننا لا يمكن أن نُخفيَ عنك هذا؛ فإن غياب «عاطف» يُقلقنا جدًّا ... وبالمناسبة، هل استجوبتم الشغالة التي تعمل عند «حمزوي»؟

الشاويش: نعم، وأنا قادم من هناك بعد الاستجواب. إن المشكلة غامضة تمامًا مثل مشكلة اختفاء «عاطف».

تختخ: ماذا قالت الشغالة؟

الشاويش: قالت إنها في حوالي الساعة التاسعة والنصف أرسلت البواب «حكيم» لإحضار الزبادي؛ لأن البائع لم يحضره ... وبعد لحظات دقَّ جرس الباب، ففتحته، وفوجئت بثلاثة أشخاص يهجمون عليها، ووضع أحدهم يده على فمها ليمنعها من الصراخ، على حين قام آخر بإعطائها حقنة مخدرة، غابت على أثرها عن وعيها تمامًا ... ولا تعرف ماذا حدث بعد ذلك حتى أفاقت في المستشفى!

تختخ: وهل في إمكانها التعرف على الرجال الثلاثة؟

الشاويش: لا. لقد كانوا يلبسون أقنعة!

تختخ: هذا يعني عصابة قوية ومُدربة على قدر كبير من الخطورة؛ فهم يستخدمون المخدِّر والأقنعة، وهذا ليس عمل عصابات عادية.

الشاويش: ولم يتركوا خلفهم أية آثار أو بصمات!

تختخ: وهل كانت المجوهرات والنقود في خزانة؟

الشاويش: لا. كانت في أدراج الدولاب، وكانت مغلقة بالمفاتيح، ولكنهم فتحوها بالقوة، وبالطبع لم تكن مشكلة!

تختخ: إنها قضية مثيرة، وليس — كما قال المفتش — سرقةً عاديةً، ولولا غياب «عاطف» غير المعقول لاشتراكنا فيها بكل حماس.

الشاويش: لقد أرسل المفتش نشرةً بأوصاف «عاطف»، ووُزعت صورته على مختلف الأقسام؛ لعل ذلك يؤدي إلى شيء!

كانت «لوزة» برغم الظروف المؤلة التي تمر بها قد قامت بواجبها كمضيعة، فأسرعت بإحضار كوب الشاي المعتاد للشاويش ... ومعه قطعة من الكعكة الكبيرة التي أرسلها المفتش «سامي».

التهم الشاويش قطعة الكعك وشرب الشاي، ثم انصرف وطلب من الأصدقاء أن يبلغوه أولاً بأول ما قد يحدث بالنسبة لغياب «عاطف».

عاد المغامرون الأربعة إلى مناقشاتهم ... وفجأةً قالت «لوزة»: كيف نسينا «زنجر» حتى الآن؟ إنه الوحيد الذي يمكن أن يدلنا على أثر «عاطف».

قفز «تختخ» مسرعاً إلى دراجته، دون أن ينتظر كلمةً أخرى، ثم انطلق مسرعاً في شوارع المعادي إلى منزله. كان مندهشاً أن هذا لم يخطر بباله منذ أمس، وتمنى ألا يكون الوقت قد فات على تتبع الأثر، بعد مضي ١٢ ساعةً على اختفاء «عاطف».

بعد أن خرج «تختخ» من حديقة منزل «عاطف»، دق جرس التليفون، وكان المتحدث هو «وحيد»، وتحدث إلى «محب» قائلاً: لقد طاف أصدقائي بكل المحلات التي تباع الصواريخ في المعادي ... وتأكدوا أن الصواريخ لم تُشترَ من أحد هذه المحال، ولا بد أن الذي وضعها قد اشتراها من القاهرة.
محب: شكراً لك يا «وحيد».

وحيد: أتمنى أن أساعدكم في العثور على «عاطف». هل وصلتكم إلى شيء؟!
محب: حتى الآن ليس هناك أدلة واضحة ... ولكن قمنا ببعض الاستنتاجات فقط، وقد ذهب «تختخ» لإحضار «زنجر»؛ لعله يستطيع أن يدلنا على شيء!

ما كاد «محب» يضع السماعة حتى شاهد الأصدقاء الثلاثة ولداً أسمرَ جميلَ الشكل يقف بباب الحديقة متردداً ... ثم رفع يديه مُحِيّاً، فقام «محب» إليه قائلاً: تفضل! هل تسأل عن عنوان؟

قال الولد الذي اتضح من لهجته أنه من السودان الشقيق: لا ... إنني أريد أن أتحدث إليكم.

محب: تريد أن تتحدث معنا؟ ... نحن؟
الولد: نعم!

لغز صواريخ الليل

ومرةً أخرى دقَّ جرس التليفون، في هذه المرة كان من المفتش «سامي»، الذي سأل عن «عاطف»، وقال إنه يبذل كل جهوده هو ورجاله لمحاولة العثور عليه، وشكره «محب»، ثم التفت إلى الولد الأسمر.

صديق من السودان

تقدم الولد الأسمر يصحبه «محب» إلى حيث «نوسة» و«لوزة»، وقدم نفسه قائلاً: «صالح الطيب» من الخرطوم!

وسلم عليه الأصدقاء الثلاثة بحرارة، ودعوه للجلوس، وقال «صالح» مشيراً بيده إلى المنزل المواجه لمنزل «عاطف»: «إنني أسكن في شقة مفروشة في المنزل المجاور.

لوزة: مرحباً بك جاراً وصديقاً ... ولكننا لم نرك من قبل!

صالح: إنني لم أسكن إلا منذ ثلاثة أيام ... وقد كنت مشغولاً ببعض الزيارات في القاهرة، ولم أكن آتي إلا في الليل ... وقد شهدت أمس جزءاً من احتفالكم.

نوسة: لماذا لم تحضر؟! إن هذا كان سيسرُّنا جداً!

ابتسم «صالح» عن صفين من الأسنان البيضاء الجميلة، وقال: فكرتُ فعلاً أن أحضر ... ولكنني ترددت؛ فلا بد من دعوة ... وهكذا وقفت أُنفرج من الشرفة.

قالت «لوزة» فجأةً: هل شاهدت شيئاً غير عادي أمس وأنت تقف في الشرفة؟

رد «صالح»: هذا ما جئتُ أتحدث إليكم عنه.

بدا الاهتمام على وجوه الأصدقاء، وقال «محب»: ماذا رأيت؟

صالح: لقد شاهدتكم اليوم تبحثون عن شيء ضاع منكم ... ولا بد أن الولد الذي شاهدته يقفز فوق السور هو الذي سرقه.

محب: ولد صغير؟

صالح: في سننا تقريباً ... كنت أقف حوالي الساعة الثامنة والنصف عندما شاهدته يقفز إلى أعلى السور ويبيده شيء ما، ثم غاب في الكشك الخشبي لحظات، ثم خرج ويدها

فارغتان، ما عدا سلماً كان يمدّه إلى الأرض الفضاء المجاورة.

محب: وبعدها؟

صالح: فكرت أن أخطركم ... ولكنني تصورت أنه أحد أصدقائكم، ويريد أن يعد لكم مفاجأة، فلم أشأ أن أذهب بروعة المفاجأة، وانتظرت لأرى هذه المفاجأة.

محب: وماذا حدث بعد ذلك؟

صالح: دخلت إلى الشقة وجلست قليلاً، ثم عدت ... ووجدت الولد قد اختفى ... وأخذت أتفرج على الحفل ... ثم ذهبت للعشاء في حوالي الساعة التاسعة والنصف — موعد عودة والدي ووالدتي من القاهرة — وبعدها بفترة سمعتُ صوت الصواريخ، وعرفتُ أن الولد صديقكم حقاً، وأنه أعد لكم مفاجآت لطيفة.

محب: وهل خرجت مرةً أخرى إلى الشرفة؟

صالح: خرجت بعد دقائق من انفجار الصواريخ، ورأيتم تقومون بإطفاء النيران، وقد نزلت مسرعاً لأشترك معكم، ولكن عندما وصلت إلى باب الحديقة، وجدتكم قد أطفأتموها ... فعدت إلى الشقة مرةً أخرى، ووقفت في الشرفة بعض الوقت، ثم دخلت لأنام.

محب: وهل تستطيع التعرف على هذا الولد إذا رأيته مرةً أخرى؟

فكر «صالح» لحظات، ثم قال: الحقيقة أنني غير متأكد؛ لقد رأيته في الظلام ... وعلى مسافة بعيدة نسبياً ... ولكنني أذكر ملابسه، فقد كان يلبس «فانلة» قصيرة الأكمام، لونها أصفر في الأغلب، ومخططة بخطوط عريضة داكنة.

كانت «نوسة» و«لوزة» تتابعان الحوار باهتمام بالغ ... وبعد أن انتهى «صالح» من الإجابة عن أسئلة «محب»، سأل: هل سرق هذا الولد شيئاً؟

محب: لا. لم يسرق ... ولكن بعد النيران التي أحدثتها الصواريخ، ذهب زميل لنا لإطفائها بعد أن ساد الظلام ... ولكن هذا الزميل اختفى منذ هذه اللحظة!

صالح: كيف؟

محب: لا ندري ... وحتى الآن لم نصل إلى شيء يمكن أن يدلنا على طريقه ... في هذه اللحظة ظهر «تختخ» وخلفه «زنجر»، وأسرع إلى الأصدقاء، وعندما رأى «صالح» توقّف قليلاً، فقال «محب»: أقدم لك يا «تختخ» الصديق «صالح الطيب»، من السودان الشقيق. وقف «صالح» فجأة، وقد بدت على وجهه علامات الاهتمام، وقال: أنت «تختخ»؟

تختخ: نعم ... أنا!

صالح: أحد المغامرين الخمسة؟

تختخ: نعم.

صالح: أنتم إذن المغامرون الخمسة؟

تختخ: هذا صحيح!

بدا الحماس على وجه «صالح» وهو يقول: لقد سمعت وقرأت لكم كثيراً ... وتمنيت أن أراكم ... إنها صدفه مدهشة!

محب: لقد أدلى إلينا «صالح» بمعلومات على جانب كبير من الأهمية يا «تختخ»، لقد شاهد الولد الذي وضع الصواريخ.

ومضى «محب» يروي لـ «تختخ» ما قاله «صالح» ... واستمع «تختخ» باهتمام شديد، حتى انتهى «محب» من روايته ... وقال «تختخ»: هل اتصل بك «وحيد»؟

محب: نعم ... لقد أرسل أصدقاءه «الفهود السبعة» إلى محلات بيع الصواريخ في المعادي، وقال لي إن جميع المحلات لم تبغ هذه الكمية من الصواريخ أمس، أو في الأيام القليلة الماضية.

تختخ: إن عندي فكرة أخرى ... ولكن المهم الآن نريد أن نرى ما يفعل «زنجر». هات منديلاً من مناديل «عاطف» يا «لوزة»، أو أي شيء ممكن أن يشمه «زنجر». نوسة: فردة حذاء أفضل؟

تختخ: إن «زنجر» سيفهم على كل حال المطلوب منه ... وبخاصة أنه لا يرى «عاطف» بيننا.

أسرعت «لوزة» لإحضار فردة الحذاء، ووقف «صالح» مبهوراً ... وقال: هل أستطيع أن أساعدكم؟

تختخ: سيأتي دورك عندما نعثر على الولد ذي «الفانلة» المخططة!

وعادت «لوزة» بعد لحظات ومعها فردة الحذاء، وقربها «تختخ» من «زنجر»، وقال: «زنجر» ... إننا نبحث عن «عاطف» ... «عاطف»!

همهم «زنجر» (كأنه يؤكد أنه فهم) ... ثم أرسل أنفه في الفضاء، وأطلق عواءً حزيناً، ومشى «تختخ» — وبيده فردة الحذاء — إلى ناحية الكشك الخشبي ... وخلفه «زنجر» وبقية الأصدقاء.

دخل «زنجر» الكشك، ودار لحظات في داخله، ثم اتجه إلى النافذة التي تفتح على السور والأرض الفضاء المجاورة ... وبرشاقة قفز واجتاز النافذة، ثم وقف على السور لحظات يتشمم الهواء ... ثم قفز مرة أخرى إلى الأرض الفضاء ... وأسرع الأصدقاء يتبعونه ومعهم «صالح»، وسار «زنجر» حتى قطع الأرض الفضاء كلها، وهو يلصق أنفه بالأرض ... حتى وصل إلى السور المقابل، وقفز فوقه، وتبعه الأصدقاء ...

كان خلف السور في الجانب الآخر شارع مهجور ... قفز «زنجر» السور إلى الشارع ... ووقف عند بقعة معينة فيه، وأخذ يدور حول نفسه، ويطلق نباحًا متصلًا حزينًا، حتى اقترب منه «تختخ»، وأخذ يُرَبِّت على رأسه مهدئًا ... ولكن «زنجر» تقدَّم جاريًا عبر الشارع — وخلفه الأصدقاء — حتى وصل إلى شارع «١٢٥» المتسع؛ حيث كانت حركة المرور تجمع بين السيارات والدراجات والمشاة ... وقف «زنجر» عند طَرَفِ الشارع، وأحنى رأسه في حزن، وبقي ساكنًا.

قال «تختخ»: من الواضح أن الخاطفين قد نقلوا «عاطف» إلى هذا المكان؛ حيث ضاعت آثار «عاطف»، أو تداخلت مع حركة المرور ... وسنعود الآن من الطريق نفسه، محاولين البحث عن أية آثار يمكن أن تكون ذات فائدة لنا!

وعادوا من الطريق نفسه ... كانت الأرض الفضاء المهجورة يغطي سطحها التراب ... واستطاع الأصدقاء أن يجدوا فعلًا آثارَ أقدام متعددة غائصة في الأتربة.

قال «محب»: من الواضح أنهم كانوا يحملون «عاطف»، ولكن لماذا لم يشاهده أحد؟! نوسة: لعل ارتفاع السور حال دون ذلك!

تختخ: والظلام أيضًا ... فالشارع المجاور له ليس مُضاءً! وعندما وصلوا إلى سور حديقة «عاطف»، قفزوا إلى الحديقة ... وقال «تختخ»: من المهم الآن البحث عن الولد الذي وضع الصواريخ؛ فله — في الغالب — صلة بخطف «عاطف».

لوزة: مشكلة أن نبحث في المعادي كلها عن ولد يلبس «فانلة» مخططة! تختخ: أعتقد أن هذا الولد يعرفنا بشكل أو بآخر ... فلا بد أنه عرف موعد عيد ميلادك يا «لوزة»، ووضع الصواريخ لهذا السبب!

لوزة: معقول ... ولكن ما دخل الولد بخطف «عاطف»؟

تختخ: هذا ما سنعرفه عندما نعثر على الولد!

محب: وكيف نبدأ؟

تختخ: سنعاود نحن سؤال محلات بيع الصواريخ!

محب: ولكن «الفهود السبعة» بحثوا ... وقال لي «وحيد» إنهم لم يعثروا على أي محل من هذه المحال قد باع كل هذه الصواريخ.

تختخ: هناك احتمالان ... أن يكون الولد قد اشترى من كل محل عددًا قليلًا من الصواريخ؛ حتى لا ينكشف أمره ... والاحتمال الثاني أن يكون أحد «الفهود السبعة» قد كذب على «وحيد».

وسكت «تختخ» مفكرًا لحظات ثم قال: إنني لا أستبعد أن لواحد أو أكثر من «الفهود السبعة» ضلُّعا في هذا الحادث ... فمن المؤكد أنهم عرفوا من «وحيد» موعد عيد ميلاد «لوزة»، وربما فكر واحد منهم في إحداث مفاجأة الصواريخ لنا.

محب: ليس هذا بمستبعد ... هيا بنا!
تختخ: سأذهب أنا وأنت و«نوسة» ... وستبقى «لوزة» هنا؛ للاتصال بها ... وسيبقى معها الأخ «صالح».

وقفز المغامرون الثلاثة إلى دراجاتهم ... وأشار «تختخ» لـ «زنجر» أن يبقى هو الآخر، ثم انطلقوا في شوارع المعادي، متجهين أساسًا إلى منطقة المحطة المزدهمة بالمحلات، وقد قسموا المنطقة بينهم.

لم تمض ساعة على بدء البحث، حتى عثرت «نوسة» على محل صغير يبيع اللعب والمسلات ... وقال صاحبه الذي يعرف «نوسة» إن ولدًا اشترى منه في صباح الأمس عشرين صاروخًا، ولكنه لا يذكر بالضبط ماذا كان يلبس!

أسرعت «نوسة» تتصل بـ «لوزة» تليفونيًّا، وطلبت منها إخطار «محب» و«تختخ» إذا اتصل بها ... وعادت «نوسة» مسرعة، ووصل — بعدها بقليل — «محب» و«تختخ»، وقال «تختخ»: سنعرف الآن فورًا من هو الولد الذي اشترى الصواريخ!

صالح: كيف؟

تختخ: سنسأل «وحيد» عن صديقه الذي سأل المحل الصغير ... فلا بد أن «وحيد» قد قسم العمل بينهم، والولد الذي ادعى أنه ذهب إلى المحل ... من المؤكد أن يكون هو نفسه الذي اشترى الصواريخ ... وبخاصة لو تذكر «وحيد» أن هذا الولد عنده فائلة مخططة.

وأمسك «تختخ» بسماعة التليفون، واتصل بـ «وحيد»، وبعد حوار قصير، وضع السماعة ونظر إلى المغامرين.

اعترافات الفهود ... وبداية خطة

قال «تختخ»: كما توقعت تمامًا ... أحد الفهود السبعة هو الذي وضع الصواريخ، وعندما طلب منه البحث عن البائع، اختار البائع الذي اشترى منه هو، وبالطبع قال إن أحدًا لم يشتريها.

قالت «لوزة»: إنني لا أفهم هذه النقطة بوضوح.

تختخ: أحد الفهود السبعة ... اسمه «سعد».

لوزة: إنني أذكره جيدًا ... إنه الولد الذي ضربني بالطوبة.

تختخ: ذاكرتك ممتازة يا «لوزة» ... لقد تذكرته الآن. هذا الولد هو الذي اشترى الصواريخ من المحل الصغير، ووضعها في الكشك الخشبي ... وعندما طلبنا من «وحيد» أن يقوم الفهود السبعة بالبحث في محلات بيع الصواريخ، قسم العمل بينهم، فاختار «سعد» المحل الصغير لسؤاله. وبالطبع لم يذهب؛ لأنه هو نفسه الذي اشترى الصواريخ، ثم غاب ساعة، وعاد إلى «وحيد» وقال له: إن المحل لم يَبِعْ أيَّ صواريخ ... ليُخْفِيَ أنه هو الذي اشتراها.

نوسة: ولماذا وضع الصواريخ في الكشك الخشبي، وهل لهذا علاقة باختفاء «عاطف»؟
تختخ: هذا ما سنعرفه حالاً ... فقد طلبت من «وحيد» أن يتصل بـ «سعد»، وأن يطلب حضوره إلى فيلا «وحيد»، وسيصل بنا «وحيد» بمجرد وصوله، ونذهب لاستجوابه.

صالح: وهل تتوقع أن يكشف هذا عن اختفاء «عاطف»؟

تختخ: قد لا يكشف بشكل نهائي، ولكنه قد يُنير لنا الطريق!

محب: أعتقد أنني كَوْنْتُ فكرةً عن عملية اختطاف «عاطف»!

انتبه الأصدقاء لهذه الجملة، وقال «محب»: عندما انفجرت الصواريخ، وأصابت أسلاك الكهرباء فقطعت النور، اتجه «عاطف» إلى الكشك، وقد ذهب خلفه بعد دقائق قليلة ... فكيف اختفى «عاطف» في هذه الدقائق؟ وكيف لم يَصُدَّر منه أي صوت؟! صمت «محب» لحظات، ثم عاد يرد على نفسه: إنني أتصور أن بعض الأشخاص كانوا مختلفين في الكشك، لسبب لا أعلمه الآن، وبمجرد دخول «عاطف» الكشك، ضربوه على رأسه، ثم حملوه، وقفزوا من النافذة إلى الأرض الفضاء؛ بدليل الأثر الذي تتبعه «زنجر» حتى الشارع الخلفي المهجور.

تختخ: هذا معقول ... ولكن ماذا كان يفعل هؤلاء الأشخاص في الكشك؟! وكيف لم ترهم وأنت كنت تتردد على الكشك في المساء لتركيب الأسلاك؟!

محب: لا أستطيع الإجابة عن السؤال الأول، أما السؤال الثاني فإنني لم أتردد على الكشك سوى ثلاث مرات فقط، في فترات متقطعة؛ مرتان قبل الثامنة والنصف، والثالثة بين التاسعة والنصف والعاشر، عندما ذهب لإضاءة أنوار الاحتفال. ومن الممكن أنهم حضروا وكمنوا في الكشك؛ فهو مكوّن من ثلاث حجرات، وربما كانوا في إحدى الحجرات دون أن أراهم ... وراهم «عاطف» بالصدفة، أو أنهم كانوا بسبيلهم للخروج فقابلهم.

تختخ: النظرية معقولة ... وبقي أن نسمع اعترافات «سعد»؛ فقد يكون مشتركًا في خطف «عاطف» لسبب لا ندريه، ونرجو أن يتمكن «وحيد» من إحضاره بسرعة ...

ولكن الساعات مضت دون أن يتصل «وحيد» ... وجاء موعد الغداء، فتغدّوا معًا، ومضوا يتحدثون حتى المساء ... ثم تحدث «وحيد» أخيرًا، وأخطر «تختخ» بوجود «سعد» عنده، فقال «تختخ»: أرجو أن تجلس معه في غرفة، وتمنعه من الخروج حتى نصل!

ثم وضع السماعة، وقفز الأصدقاء إلى دراجاتهم ... وركب «صالح» دراجة «عاطف»، وانطلق «زنجر» خلفهم ... وسرعان ما كانوا ينطلقون في طريق الاستاد — حيث توجد الفيلا الكبيرة التي يقيم فيها «وحيد» ... واقتربوا من الحديقة الكبيرة ذات الأشجار المتفتحة التي تشبه الغابة ... ثم وقفوا أمام الباب ... ووجدوا البوّاب في انتظارهم ... ففتح لهم، وأشار إليهم «تختخ» ألا يحدثوا صوتًا ... واقتربوا من باب الفيلا الضخمة التي تشبه قصرًا عتيقًا ... ونزلوا ثم صعدوا السلالم بهدوء، ووجدوا أحد الشغالين الذي أشار لهم على الغرفة التي بها «وحيد».

دفع «تختخ» الباب بعد دقائق خفيفة ودخل ... كان «وحيد» يجلس في كرسيه ذي العجلات ... وأمامه «سعد»، ولم يكد «سعد» يرى «تختخ» حتى وقف، وبدا مضطربًا ... وكان بقية الأصدقاء قد دخلوا، وأغلقوا الباب خلفهم.

قال «تختخ» بصوت حاسم: من الذي خطف «عاطف» يا «سعد»؟
نظر «سعد» إلى «وحيد» كأنه يستنجد به، ولكن «وحيد» قال في خشونة: أجب يا «سعد» ... أنت تعرف أننا لم نعد نكوّن مجموعة ... وأن «الفهود السبعة» قد أصبحوا أصدقاء المغامرين الخمسة ... فلا تحاول الإنكار!
قال «سعد»: ولكنني لا أعرف من خطف «عاطف»، بل إنني لا أعرف أن «عاطف» قد خُطِفَ على الإطلاق!

تبين لـ «تختخ» في حديث «سعد» رنة الصدق؛ فقال: إذن ... من الذي وضع الصواريخ في الكشك؟

نظر «سعد» حوله ووجد الأصدقاء يُحدِّقون فيه، فقال: أنا!
تختخ: لماذا؟
سعد: كنت أريد أن أُعدَّ لكم مفاجأة، بعد أن علمتُ من «وحيد» بموعد عيد ميلاد «لوزة».

تختخ: هل كنت وحدك أو معك أشخاص آخرون؟
سعد: وحدي.
أشار «تختخ» للأصدقاء ولـ «سعد» بالجلوس، ثم قال: اسمع يا «سعد» ... لقد اختفى «عاطف» بعد إطلاق الصواريخ بلحظات، ونحن نريد منك أن تروي لنا كل ما حدث ... لا تنس شيئاً مطلقاً ... منذ أن اشتريت الصواريخ حتى لحظة إطلاقها. إننا نريد أن نستردَّ «عاطف» من خاطفيه ... وأنت الأمل الوحيد الذي يمكن أن ينير لنا الطريق.

سعد: كما قلت لكم ... علمتُ من «وحيد» بموعد عيد ميلاد «لوزة»، وقررت أن أعد لكم مفاجأة ... وهكذا ذهبت إلى المحل الصغير الذي بجوار المحطة، واشترت كل ما عنده من صواريخ ... وعندما هبط الظلام، ذهبت إلى الأرض الفضاء التي بجوار السور ... وانتظرت حتى تأكدت من عدم وجود أحد في الكشك، ثم دخلت ووضعت الصواريخ داخل الكشك، وأخفيتُها بحيث لا يراها أحد ... ثم مددت شريطاً طويلاً بين الصواريخ والأرض الفضاء، بحيث أستطيع إشعاله ولا يراني أحد.

محب: ألم تر شيئاً غير عادي في الكشك عندما دخلته؟
سعد: مطلقاً ... على الأقل بالنسبة للحجرة التي كنت فيها.
تختخ: وبعد ذلك؟

سعد: ربضت في الظلام حتى أضأت الشموع، وأشعلت الفتيل؛ لأنني توقعت أن تطفئوا النور بعد لحظات، واشتعل الشريط بأسرع مما توقعت، وانفجرت الصواريخ، وبدأت أستعد للقفز إلى الشارع ... وفي هذه اللحظة حدث شيء غريب!

وصمت «سعد» لحظات، وتعلّقت أبصار الموجودين به، وعاد يقول: عندما انبطحت على السور، وجدت ثلاثة أشخاص، أحدهم يحمل حقيبة، يُسرعون الخطو بجوار السور ... وسمعتُ في نهاية الشارع صوت «موتوسيكل» مقبلاً، واقترب «الموتوسيكل» بسرعة ... ونظر إليه الرجال الثلاثة، ثم قفزوا إلى أعلى السور، واختفوا بجوار الكشك الخشبي ... وعندما مرَّ «الموتوسيكل» بجواري، رأيت عليه أحد أمناء الشرطة ... وقد فكرت أنه يطاردهم، وهممت أن ألفت نظره، ولكن في هذه اللحظة رأيت النار تشتعل في الكشك الخشبي ... وأحسستُ بذعر شديد، فأطلقتُ ساقِي للريح ... وظللتُ أجري حتى دخلت منزلي.

وحيد: هل هذا كل ما حدث؟

سعد: نعم. فقد عدت في الصباح لأرى ما حدث بالكشك الخشبي، ولحسن الحظ أنني وجدت النيران قد أُخمدت. ولكنني أحسست بالذنب، فلما طلب مني «الفهود السبعة» البحث عن الذي اشترى الصواريخ، اخترت أن أذهب إلى المحل الصغير حتى أخفي الحقيقة. إنني آسف جداً!

وحيد: أعتقد أن هؤلاء الرجال الثلاثة هم الذين خطفوا «عاطف»!

لم يرد «تختخ» ... بل أخذ يتمشّى في الغرفة مفكراً ... وقال «محب»: فعلاً، هذا هو الحل الوحيد المعقول ... ما رأيك يا «تختخ»؟

قال «تختخ»: هناك أشياء كثيرة تدور في ذهني. كم الساعة الآن؟

قال «وحيد»: إنها تقترب من السادسة.

تختخ: أمامي مهمة صغيرة، ولكنها هامة ... هل يمكن أن تنتظروني هنا جميعاً؟

رد «وحيد»: على الرحب والسعة لجميع الأصدقاء عندي!

تختخ: سأذهب إلى هذه المهمة وحدي ... وسأصل بكم تليفونياً، فاستعدوا جميعاً لهذه اللحظة.

لوزة: هل ستتأخر يا «تختخ»؟

تختخ: أرجو أن أعود قبل أن يهبط الظلام ... وإذا لم أعد، فسوف أتصل بكم كما قلت.

وغادر «تختخ» منزل «وحيد» مسرعًا، وقفز إلى دراجته، وانطلق كالسهم — وكأنه يسابق الزمن — إلى منزله ... وسرعان ما كان يصعد إلى غرفة العمليات ... وهي غرفة خاصة بـ «تختخ»، في الدور الثاني من الفيلا التي يقيم فيها مع والديه ... وخلع «تختخ» ثيابه، ثم أخذ يختار من ثياب التنكر الكثيرة التي عنده ثيابًا أخرى ... وصبغ وجهه في أكثر من موقع، ثم وضع باروكة الشعر الأصفر المنفوش على رأسه. وعندما انتهى من عملية التنكر، ونظر في المرآة، كان قد تحول إلى شخص آخر تمامًا ... وابتسم «تختخ» ... فلم يكن أقرب الناس إليه في هذه اللحظة يمكن أن يعرفه.

فتح «تختخ» باب غرفته، واستمع لحظات حتى أحس أن لا أحد في الطريق، ثم نزل السلالم كالسهم، وبعد لحظات كان خارج الفيلا، ومن المؤكد أن من كان يراه في هذه اللحظة، لم يكن يتصور مطلقًا أنه الولد الذي دخل الفيلا منذ أقل من نصف ساعة ... وبخاصة الحقيبة الخشبية ذات الواجهة الزجاجية التي كان يحملها.

مشى «تختخ» وهو يفكر ... طافت في ذهنه فكرة معينة، لو صحّت لضرب عُصفورين بحجر واحد، وأخذ يحدث نفسه ... أليس من الأفضل أن أتصل بالمفتش «سامي» أنقل له ما في رأسي؟!

ولكن لو اتضح أن فكري خطأ، فسيكون ذلك شيئًا مؤسفًا ... ولو علم الشاويش، لأصبحت هدفًا لسخريته ... ومشى «تختخ» مسرعًا حتى وصل إلى وسط المعادي. واتجه فورًا إلى أحد محال بيع الألبان، وطلب شراء عشر عُلب من اللبن الزبادي.

وضع «تختخ» العلب في الحقيبة الخشبية التي كان يحملها، ثم عاد يسير بسرعة، حتى اقترب من منزل «عاطف»، ثم بدأ ينادي بصوت مرتفع: زبادي يا لبن!

ومشى وهو ينادي محاولًا إسماع صوته إلى أبعد مسافة ممكنة ... حتى وصل إلى هدفه ... إلى فيلا التاجر الكبير «حمزاوي».

رفع «تختخ» صوته: زبادي يا لبن!

ثم اتجه إلى البواب، وقال: السلام عليكم.

رد البواب: سلام ورحمة الله وبركاته.

وضع «تختخ» حقيبة الزبادي بجواره، ثم قال: زبادي عظيم جدًا يا عم!

رد البواب: آسف يا بني ... إننا نشترى من شخص محدد.

وكانت هذه الإجابة ما ينتظره «تختخ»، فلم يتردد وجلس على الرصيف بجوار البواب.

حكاية بائع الزبادي

قال «تختخ»: إنني ولد فقير ... وأريد مساعدتك في أن تتعاملوا معي.
قال البواب: آسف يا بني ... ليس هذا عملي ... إنه عمل «حسنة» الشغالة!
تختخ: وهل أستطيع مقابلتها؟
البواب: تعالَ غداً؛ فسوف تذهب بعد قليل لزيارة أمها، كالمعتاد كل أسبوع. وهي تعمل الآن للانتهاء من عمل اليوم.
تختخ: ومن هو بائع اللبن الزبادي الذي تتعاملون معه؟
البواب: الحاج «إسماعيل» في عزبة «فهمي».
شكر «تختخ» البواب، وانطلق يجري إلى عزبة «فهمي»، وتمنى في هذه اللحظة أن تكون دراجته معه ... ولكن لم يكن هناك وقت لإحضارها.
كان الظلام قد هبط عندما وصل «تختخ» إلى عزبة «فهمي»، وأخذ يسأل على محل الحاج «إسماعيل»، وسرعان ما كان يقف أمامه ... وقف قليلاً بعيداً يرقب المحل، ويفكر في أفضل أسلوب للحصول على المعلومات التي يريدها ... وسرعان ما عثر على الحل الملائم؛ فقد خرج أحد صبيان الحاج يحمل صينية اللبن الزبادي ... وكانت فرصة «تختخ»، فقد اقترب من الصبي على الفور، وقال له: أريد سلطانية زبادي!
فقال الولد: آسف ... إنها ذاهبة للزبائن بالعدد! ادخل المحل وخذ ما تريد!
تختخ: إنني قادم من منزل «حمزاوي»!
الولد: «حمزاوي» لم يعد يتعامل معنا؛ لقد سمعت زميلي «سلطان» يقول إنهم تعاملوا مع محل آخر منذ أمس.
تختخ: ألم تسمع شيئاً آخر؟
الولد: لا ... وتستطيع سؤال «سلطان».

تختخ: وأين «سلطان»؟

الولد: إنه سيخرج الآن.

وسار الولد ... ووقف «تختخ» مكانه، وقد أخذ قلبه يدق بعنف ... إنه حتى الآن في الطريق الصحيح، وأخذ يفكر: كيف يتصرف عندما تتأيد شكوكه؟ وقطع عليه حبل تفكيره ظهور ولد قصير القامة مبتسم الوجه يحمل صينية اللبن. وما كاد يمر أمام «تختخ»، حتى ناداه قائلاً: سلطان!

والتفت إليه الولد، فقال «تختخ»: إنني قادم من طرف «حسنة» الشغالة عند «حمزاوي»! قال الولد — بضيق، وقد اختفت ابتسامته: ماذا تريد «حسنة» مني؟

تختخ: إننا نريد زبادي كالمعتاد!

سلطان: لا يمكن أن أعود إلى هذا البيت مرةً أخرى! لقد طردتني «حسنة»، وشتمتني دون سبب، برغم أننا نتعامل مع «حمزاوي» من مدة طويلة، قبل أن تحضر هذه البنت! تختخ: ماذا حدث؟ إنني لا أعرف، عن أي شيء تتكلم؟!

سلطان: ألم تقل لك؟! لقد ذهب أول أمس، ومعني ثلاث سلاطين لبن كالمعتاد، ونحن نصنع أحسن أنواع الزبادي في المعادي كلها، ونتعامل مع أحسن البيوت، ولا يمكن أن نغش، ولكن «حسنة» شمت اللبن، ثم صاحت: هذا لبن مغشوش وغير طازج!

وصمت «سلطان» وهو يسترد أنفاسه، ثم قال: دهشت ... وأمسكت باللبن، وأخذت أشمه، ووجدته على أحسن ما يكون، ولما قلت لها ذلك عادت تصيح في وجهي ألا أعود إليهم مرةً أخرى، وشتمتني، وسببتني ... اذهب وقل لها إنني لن أعود إليهم مرةً أخرى، أو تتفاهم مع المعلم، وليرسل لها ولدًا غيري!

وانصرف «سلطان»، وأحس «تختخ» أن كل شيء يسير كما تصوّر بالضبط ... وفجأةً تذكر أن «حسنة» ستغادر بيت «حمزاوي»، وسقط قلبه بين قدميه، وحار كيف يتصرف ... إنه على مسافة بعيدة من منزل «حمزاوي»، ولن يستطيع اللحاق بها، ومن المهم جدًا أن يستجوبها ... وفجأةً تذكر الأصدقاء، وأسرع يدخل محل الحاج «إسماعيل»، وشاهد «تليفونًا» موضوعًا على مكتبه، ودون كلمة واحدة رفع السماعة، ثم أدار رقم «وحيد»، ورد عليه «وحيد»، فقال له «تختخ»: «وحيد»، أعطني «محب» ... من فضلك.

وسمع «تختخ» صوت «محب» على الطرف الآخر؛ فقال له: «محب» ... اركبوا دراجاتكم فورًا، وأسرعوا إلى منزل «حمزاوي»، واسألوا عن «حسنة» الشغالة. فإذا لم تكن قد خرجت، فراقبوا خروجها حتى حضوري، وإذا كانت قد خرجت، فاتبعوها عن بعد، ولا تُشعروها أنكم تراقبونها مطلقًا! اتبع خطة المراقبة بالتبادل.

محب: وماذا بعد مراقبتها؟
تختخ: بعد أن تعرفوا مكانها، اتركوا أحداً ليراقب المكان، ثم تعالوا إلى منزل «عاطف»،
أو اتصلوا بي في منزل «عاطف» إن أمكن.
محب: سننفذ التعليمات ... ولكن أين أنت؟
تختخ: عند عذبة «فهمي» ... وسأعود فوراً إلى منزل «عاطف» في انتظاركم!
ووضع «تختخ» السماعة، ثم دفع ثمن المكالمة، وخرج دون أن يرد على كلمات العتاب
التي خرجت من أحد العمال؛ لأنه لم يستأذن في استخدام التليفون.
أسرع «تختخ» عائداً إلى منزله ... كان يريد التخلص من تنكره، ثم يذهب بعد ذلك
إلى منزل «عاطف» لانتظار نتيجة مراقبة الأصدقاء لـ «حسنة».
كان الظلام قد هبط تماماً على المعادي، فلما وصل «تختخ» إلى منزله، استخدم
الشجرة التي تصل أفرعها إلى نافذة غرفته ... وسرعان ما قفز إلى داخل الغرفة، ثم خلع
ثياب التنكر ... ودخل الحمام ليزيل آثار التنكر كلها، وارتدى ملابسه المعتادة.
أحس بالانتعاش بعد الحمام، وأمسك سماعة التليفون، وطلب المفتش «سامي» في
مكتبه فلم يجده، وترك له خبراً، ثم اتصل بمنزله فلم يجده، وترك خبراً آخر. ونزل مسرعاً
إلى منزل الشاويش «علي»، وبعد أن طرق الباب عدة مرات ولم يرد الشاويش، أدرك أنه
ليس في المنزل هو الآخر، وأحس بضيق، ولكنه أسرع إلى منزل «عاطف»، ولم يكد يدخل
الحديقة حتى ظهرت «نوسة» و«لوزة» و«سعد» و«صالح»، ولم يكن معهم «محب».
قال «تختخ»: ماذا حدث؟ أين «محب»؟
ردت «نوسة»: بعد مكالمتك التليفونية، أسرعنا إلى منزل «حمزاوي»، ووجدنا «حسنة»
تغادر المنزل، وقد عرفناها من حديثها مع البواب الذي كان يناديها باسمها، وخرجت
«حسنة» من البيت، وأسرعت إلى محطة القطار، وكنا نراقبها بطريقة التبادل؛ واحد
يتقدم، ثم يترك مكانه للآخر، وهكذا.
تختخ: فاهم. المهم ماذا حدث؟
نوسة: وصل قطار من القاهرة، وأسرعت تقفز فيه، وكان «محب» أسرعنا، فقد قفز
خلفها. وعدنا نحن إلى هنا!
نظر «تختخ» إلى ساعته ... كانت قد تجاوزت التاسعة، وأخذ يحسب المسافة بين
المعادي وبين المحطات التالية حتى «حلوان»، وقال: أعتقد أنه إذا لم يحدث شيء لـ «محب»،
فإنه سيتصل بنا خلال نصف ساعة.

وجلس الجميع، وقال «سعد»: إنني آسف جدًّا؛ لقد سببتُ لكم متاعبَ كبيرة، ولكن كنت أريد أن أقدم مفاجأة لـ «لوزة» من ناحية، ومن ناحية أخرى أترك لكم لغزًا يصعب حلُّه.

ابتسم «صالح»، وقال: ولكنهم حلُّوا اللغز قبل مُضيِّ «٢٤» ساعة!

أضاف «تختخ»: وقد نحل لغزًا آخر أهم!

التفت إليه الأصدقاء، وقالت «نوسة»: ماذا تعني يا «تختخ»؟ وماذا فعلت عندما ذهبت إلى عربة «فهمي» كما قلت في التليفون؟

تختخ: لقد فكرتُ في شيء، وقررتُ أن أتُحقق منه، وحتى الآن أعتقد أنني أسير في الطريق الصحيح ... لقد ربطت بين حادث اختفاء «عاطف»، وحادث السرقة الذي وقع في منزل «حمزاوي».

لوزة: لقد فكرت في الفكرة نفسها، وقلت لكم هذا، ولكنكم لم تصدقوا!

تختخ: كيف ربطت بين الحادثين؟

لوزة: أولاً، إن حادث السرقة وقع بين التاسعة والنصف والعاشرة، وقد اختفى «عاطف» في العاشرة تقريباً كما نعلم جميعاً ... ولم يكن هناك أي سبب لاختفائه، فقلت في نفسي ربما يكون اللصوص الذين سرقوا المجوهرات والنقود قد التقوا — لأي سبب — بـ «عاطف»، وخطفوه ... فعله طاردهم مثلاً في أثناء مرورهم بجوار منزلنا؛ فمِنزل «حمزاوي» يقع في الشارع نفسه!

قال «تختخ» مشجعاً: وماذا أيضاً؟

لوزة: عندما قال لنا «سعد» عن الرجال الثلاثة الذين قابلهم بجوار الكشك الخشبي، في أثناء مرور أمين الشرطة، بدأت أتأكد!

تختخ: وهل هناك شيء ثالث؟

لوزة: حتى الآن لا!

تختخ: أنتِ مغامرة ذكية حقًّا يا «لوزة»، ولكنني أضيف سبباً ثالثاً، هو جملة قالها واحد منكم، عن عدم صراخ «عاطف» عندما خُطف!

لقد ربطت بين حديث الشغالة «حسنة» عن طريق مهاجمة اللصوص لها؛ لقد خدروها بحقنة ... وفكرت أنهم اتبعوا الوسيلة نفسها مع «عاطف» ... وهكذا استطاعوا إسكاته، وحَمَله بعيداً دون أن نسمع له صوتاً.

وسكت «تختخ» لحظات، ثم مضى يقول: حدث هذا ونحن نستمع إلى حديث «سعد» في فيلا «وحيد»، وتذكرت «حسنة» ... وسألتُ نفسي: هل كان حضور اللصوص الثلاثة

إلى منزل «حمزاوي» ساعة غياب الأسرة من المنزل، وغياب البواب لشراء الزبادي مجرد صدفة؟

سعد: لا أفهم! ماذا تعني؟

تختخ: سأوضح مرة أخرى ... لقد تمت السرقة بين الساعة التاسعة والنصف والعاشر، وفي هذه الفترة كانت أسرة «حمزاوي» غير موجودة في المنزل، فمن الذي يعرف أن الأسرة غير موجودة؟ شخصان فقط؛ البواب و«حسنة» ... أليس كذلك؟
سعد: تمامًا!

تختخ: أحدهما إذن متصل باللصوص، وقد أخبرهم بتغيّب الأسرة، وبقي عليه أن يُبعد الآخر ... فإذا كان البواب هو الذي اتفق مع اللصوص، فهو الذي يبعد «حسنة» ... وإذا كانت «حسنة» هي التي اتفقت مع اللصوص، فهي التي أبعدت البواب ... معقول؟
سعد: معقول جدًا!

تختخ: نصل من هذا إلى أن «حسنة» هي التي اتفقت مع اللصوص على سرقة بيت «حمزاوي»؛ لأنها أبعدت البواب بحجة شراء الزبادي ... وهنا سألت نفسي: هل غاب بائع الزبادي من تلقاء نفسه، أو لسبب آخر؟! وهكذا تركتكم، وذهبت لمعرفة السبب. وقد عرفت أن الشغالة «حسنة» قد طردت بائع اللبن دون سبب مفهوم، وواضح أنها أرادت منه ألا يأتي حتى تجد سببًا مفهوميًا؛ سببًا لإرسال البواب لشراء الزبادي، ويخلو الجو للصوص ...
صالح: ولكنهم خدروها!

هز «تختخ» رأسه قائلاً: إنها حيلة قديمة لإبعاد الشبهات عنها ... فهي تبدو ضحية للصوص، فلا يشك فيها أحد! وهكذا اتضحت خيوط الحادث في رأسي.

يا حضرة الشاويش ... من فضلك!

ساد الصمت الأصدقاء بعد حديث «تختخ»، وأخذ كل منهم يدير الفكرة في رأسه، وفجأةً دقَّ جرس التليفون، وكان «محب» هو المتحدث، ووضع «تختخ» سماعة التليفون على أذنه، وأخذ يستمع باهتمام، وبقيّة الأصدقاء يراقبونه.

قال «محب» بصوت لاهث: أتحدث من حلوان ... لقد نزلتُ «حسنة» في حلوان، وتبعيتها ... وقد حاولت أن تركب تاكسيًا، ولما لم تجد سارت، فسرتُ خلفها، حتى وصلت إلى الصحراء، وتبعيتها فترةً من الوقت، ولكنها فجأةً اختفت قرب مكان متشعب المسالك، وظللتُ أبحث عنها دون جدوى ... ماذا ترى؟

فكر «تختخ» لحظات، ثم قال: انتظر في المحطة ... سأحضر ومعي «زنجر» و«صالح» و«سعد».

ووضع «تختخ» سماعة التليفون، وبدأ يفكر. كان يتمنى في هذه اللحظة أن يحصل على قطعة من ثياب «حسنة» بأي ثمن؛ حتى يشمها «زنجر»، فكيف السبيل إلى هذا؟ لم يكن أمامه إلا الشاويش «علي».

التفت «تختخ» إلى «صالح» قائلاً: هل تحب الاشتراك في مغامرة؟

قال «صالح»: ليس أحب إليّ من هذا!

تختخ: وأنت يا «سعد»؟

سعد: إنني على استعداد لأن أفعل أي شيء لإصلاح هذا الخطأ الفظيع الذي وقعت فيه.

قال «تختخ» لـ «نوسة»: اذهبي يا «نوسة» مع «صالح» إلى منزلي، وأحضري «زنجر»

من هناك، وانتظروني هنا جميعاً.

وقفز «تختخ» إلى إحدى الدراجات، ثم انطلق إلى منزل الشاويش «علي»، وهو يتمنى

أن يكون الشاويش قد عاد ... ولحسن الحظ، وجد نافذته مضاءةً، وسرعان ما كان يطرق

الباب ... وبعد لحظات ظهر الشاويش في ملابسه المنزلية ... ولم يكذب يرى «تختخ» حتى اهتز شارب؛ فقد توقع المتاعب!

قال «تختخ»: مساء الخير يا شاويش «علي»، لقد جئت إليك في مهمة خطيرة! عاود شارب الشاويش الاهتزاز، وقال: خطيرة؟!

تختخ: نعم ... إنها خطيرة، لكنها ستكشف عن لغز اختفاء «عاطف»، وفي الوقت نفسه عن العصاة التي سرقت منزل «حمزاوي».

الشاويش: ألم يظهر «عاطف» حتى الآن؟

تختخ: لا!

الشاويش: وما المهمة الخطيرة التي تطلبها مني؟

تختخ: إنها مسألة بسيطة ... ولكنها خطيرة في الوقت نفسه ... إننا نريد قطعة من ثياب «حسنة» الشغالة، والأفضل فردة حذاء.

فتح الشاويش فمه، وبدأت في عينيه نظرة ذهول، فعاد «تختخ» يقول: أرجوك، لا تناقشني الآن فيما أريد يا حضرة الشاويش ... إن المسألة عاجلة جداً!

بلع «الشاويش» ريقه، وقال: عن أي شيء نتحدث؟

تختخ: عما تحدثت عنه!

الشاويش: ولكني لا أفهم عن أي شيء نتحدث!

تختخ: سأعيد ما قلته مرة أخرى ... إننا نريد قطعة من ثياب «حسنة» الشغالة في منزل «حمزاوي» ... أو فردة حذاء.

الشاويش: هذا أغرب طلب سمعته في حياتي ... وإذا لم أقتنع بجدية الطلب، فإنني بالطبع لن أساعدك ... فلست على استعداد لاحتمال سخريتكم، ولا تنس ...

قاطعه «تختخ» بنفاذ صبر: أرجوك يا شاويش «علي»، البس ثيابك فوراً، وتعال معي!

الشاويش: هل تصدر لي أمراً؟

تختخ: العفو يا شاويش ... إنني لا أملك حق إصدار الأوامر ... ولكنك الآن تعطل

العدالة.

انتفخ وجه الشاويش، وصاح: هل تعرفني شغلي؟! هل تحدثني عن العدالة؟!

تختخ: لا تنس يا شاويش أن حادثتين خطيرتين قد وقعتا في دائرة عملك، وأنك لم تصل إلى حل أي شيء حتى الآن.

صاح الشاويش: إنني مسئول عن السرقة فقط، أما اختفاء صديقك «عاطف» هذا

فإنني متأكد أنه إحدى الأعيبيكم!

يا حضرة الشاويش ... من فضلك!

بدأ «تختخ» يستعد للانصراف، وقال: سأتصل بالمفتش «سامي» إذن!
الشاويش: لقد سافر المفتش «سامي» فجأةً إلى «أسيوط» ... في مهمة عاجلة، ولا
تهددني بهذا الكلام!

أدرك «تختخ» أن خطته ستفشل ... وأنه لن يستطيع إقناع الشاويش، وخاصةً في
غياب المفتش «سامي» ... وقرر أن يحدث الشاويش بطريقة أخرى.
فقال: أنت حر يا شاويش ... لقد أردت أن أضع يدك الليلة على لصوص المجوهرات
الثلاثة ... ولكن ...

بلّل الشاويش شفثيه بلسانه، وقال: أنت ... ستضع يدي؟
تختخ: أؤكد لك يا شاويش أنني أعني ما أقول، وأن كل دقيقة تضيع، تبعد بينك وبين
حل الغموض في هذا الحادث.

الشاويش: ولكن المفتش سافر إلى «أسيوط» خصوصاً خلف هؤلاء اللصوص الثلاثة،
فكيف تضع أنت يدي عليهم؟!

تختخ: لا بد أن عند المفتش «سامي» أسباباً قوية ... ولكن عندي أنا أسباب أخرى.
وبمنتهى الصراحة ... لولا أن «عاطف» في هذا الموضوع، لما ترددت لحظةً في الانصراف
عند أول كلمة قلتها مُعِلِّناً رفضك مساعدتي!

بدا الشرود على وجه الشاويش لحظات، ثم قال: ادخل.
دخل «تختخ»، وأسرع الشاويش يرتدي ثيابه الرسمية، وعاد وهو يقول: ولكن ما هو
السبب الذي أقدمه لهذا الطلب؟

تختخ: إنك لست في حاجة إلى ذكر أسباب؛ فأنت ممثل القانون. ويكفي أن تقول
لـ «حمزاوي» إنك ستعيد له مجوهراته ونقوده.

الشاويش: هل أنت متأكد؟
تختخ: بنسبة كبيرة ... نعم!
الشاويش: إذن، هيا بنا وأمري إلى الله.

وخرجا مسرعين، وقفزا على دراجتيهما، واتجها إلى منزل «حمزاوي». وبعد عشر
دقائق، كان الشاويش يطرق الباب ... وسمع «تختخ» وهو يقف بعيداً حديث الشاويش
مع البواب ... فأسرع إلى منزل «عاطف» القريب لانتظار الشاويش، حسب اتفاقه معه.

كان الأصدقاء — و«زنجر» معهم — ينتظرون عودة «تختخ»، الذي روى لهم بسرعة
ما حدث بينه وبين الشاويش، فقالت «لوزة»: لماذا لم تأخذ شيئاً من ثياب «عاطف»؟ ...

تختخ: إنني لا أضمن أن يكون «عاطف» هناك ... إنني أبحث الآن عن «حسنة»، وعن طريقها سوف نصل إلى «عاطف».

وكاد يقول: لو كان حيًّا ... ولكنه أمسك لسانه، وإن أحس برعدة تشمل جسمه كله ... وأخذ يفكر في احتمال أن يكون اللصوص قد قَضَوْا على «عاطف» ... وفكر في الساعات القليلة المقبلة، وما يمكن أن يحدث فيها ... ونظر إلى «لوزة»، ووجدها تنظر إليه، وأدرك أنها تفكر مثله تمامًا ... إن «عاطف» شقيقها المحبوب ... وهو مخطوف، ولا أحد يدري مصيره ... وأحسَّ بإعجاب عظيم بهذه المغامرة الشجاعة. تقدَّم منها، ووضع ذراعَه حول كتفِها، ثم مال عليها، وهمس في أذنها: هل أنت خائفة؟

ردت «لوزة» بصوت مرتجف: نعم، خائفة على «عاطف»!

قال «تختخ» بثبات — وإنَّ أحسَّ بخوفها يسري إليه: لا تخافي؛ إن «عاطف» مغامر جسور ... وسوف يعود إليك!

لوزة: الليلة؟

تختخ: أرجو ذلك.

لوزة: هل آتي معكم إلى «حلوان»؟

تختخ: لا ... ستبقيين مع «نوسة» ... هنا!

لوزة: لماذا؟ إنني أريد أن أتحرك ... إن هذا الهدوء يضايقني! أرجو أن آتي معكم ... لعلكم تعثرون على «عاطف»!

تختخ: من أجل «عاطف»، ابقِي هنا!

وظهر الشاويش على باب الحديقة — مُمَسِّكًا بيده لَفَّةً صغيرة، فأسرع «تختخ» إليه، وقال الشاويش متضايقًا وهو يناوله اللَّفَّة: منديل رأس «بأوية»!

تختخ: عظيم جدًّا!

والتفت إلى الأصدقاء قائلاً: هيا بنا!

الشاويش: إلى أين؟

تختخ: إلى حلوان.

الشاويش: لماذا؟

تختخ: لأن «حسنة» في مكان ما هناك، وإذا استطعنا الوصول إليها؛ فإنني أعتقد أننا سنصل إلى «عاطف» والمجوهرات والنقود!

قال «الشاويش» بحماس: إذن سآتي معكم.

قال «تختخ» مبتهجًا: إنك رجل رائع يا حضرة الشاويش! هيا بنا ... فنحن نحتاج إلى شجاعتك ... وإلى مسدسك أيضًا!

بعد دقائق، كان «تختخ» و«سعد» و«صالح» و«الشاويش» و«زنجر» يركبون القطار الذاهب إلى «حوان»، وقد حرص الشاويش أن يجلس بعيدًا عن «زنجر»، فمهما كان اتفاقه مع المغامرين الخمسة، فهو لا يأمن مطلقًا «زنجر».

بعد نحو ربع ساعة، توقف القطار في محطة «حوان»، ونزل المغامرون ... وشاهد «تختخ» «محب» يبحث عنهم، فأسرع إليه. قال «تختخ» على الفور: هل يمكن أن تدلنا على المكان الذي فقدت عنده أثر «حسنة»؟

محب: أرجو ذلك ... برغم الظلام وبعد المسافة!

التفت «تختخ» إلى الشاويش، وقال: سأكون أنا و«زنجر» و«محب» و«صالح» في البداية، وستتبعنا أنت و«سعد»!

الشاويش: لماذا؟

تختخ: إن ثيابك رسمية ستلفت الأنظار ... ويجب ألا تظهر معنا حتى نصل إلى الصحراء.

وافق الشاويش متضايقًا ... وبدأ الجميع سيرهم مسرعين ... وبعد نحو ربع ساعة، كانوا قد غادروا الأماكن المأهولة بالسكان، ووصلوا إلى الصحراء الموحشة، التي تمتد جنوبًا إلى ما لا نهاية!

أخذ «محب» يتوقف بين لحظة وأخرى، ثم يسير ... حتى توقف عند قاعدة تل صخري متشعب الاتجاهات، وقال: هنا!

أخرج «تختخ» منديل «حسنة» من اللقمة، ووضعهُ أمام أنف «زنجر»، وقال: «زنجر» ... شم جيدًا، ثم انطلق.

تشمَّ الكلب الأسود الذكي المنديل، ثم رفع رأسه إلى فوق، وأخذ يعب من الهواء، ثم أحنى رأسه إلى الأرض، ودار هنا وهناك، ثم انطلق كالسهم، والأصدقاء خلفه. كان «تختخ» يمسك بمقود الكلب؛ حتى لا يبتعد عنه ... وساروا جميعًا.

مضت فترة و«زنجر» مندفع إلى الأمام، ثم توقف، وعاد شم الرمال حوله، ثم رفع رأسه إلى فوق ... وأخذ يشد «تختخ» خلفه بشدة، وأدرك «تختخ» أن «زنجر» يقترب من هدفه، فتوقف ممسكًا بالكلب بقوة، حتى انضم الجميع إليه، وهمس: أظننا اقتربنا من المكان؛ خذوا حذرکم، ولا تُحدِثوا صوتًا من أجل سلامة «عاطف».

معركة الليل

توترت أعصاب «زنجر»، وهو يحاول جذب «تختخ» خلفه، ولكن «تختخ» أخذ يربّت على رأسه هامسًا: أرجوك اهدأ.

دار الكلب الذكي حول صخرة ضخمة، ثم سمع الجميع صوتين يتحاوران ... كان أحدهما لرجل، والآخر لسيدة.

كان الرجل يقول: لا تخافي على حقك ... ولكن يجب أن تعودى إلى البيت ... إن غيابك سوف يثير الشبهات.

ردت السيدة: لقد جئت فوجدتكم تستعدون للسفر إلى «أسيوط»، ولا يمكن أن أعثر عليكم بعد الآن.

الرجل: ثقي بي ... إن حقك محفوظ في عيني ... ولكن اسمعي الكلام، وإلا ذهبنا جميعًا إلى السجن!

وأشار «تختخ» إلى من معه ... فالتصقوا جميعًا بالصخرة ... وعلى بعد أمتار قليلة، شاهدوا الشبحين في الظلام متجهين إلى «حلوان». همس «تختخ» في أذن «صالح» ببضع كلمات ... فمدّ «صالح» يده، وسحب «سعد» معه، وانطلقا خلف الشبحين، واتجه «تختخ» والشاويش و«محب» خلف «زنجر»، حتى سمعوا صوت راديو تنطلق منه أغنية. وزاد هياج «زنجر»، واحتار «تختخ» ... لقد جاء به خلف «حسنة» ... وقد ابتعدت «حسنة» ... فلماذا هو مُهتاج؟! ودق «تختخ» سريعًا ... لا بد أن «عاطف» قريب، وهذا سبب هياج «زنجر» وتوتره ... واتجهوا إلى مصدر الصوت.

لمح «تختخ» والشاويش معًا ضوءًا خافتًا يفرش مساحةً من الرمال، أمام كهف قد غُطيت واجهته بالخيش وسعف النخيل، وهمس «تختخ» في أذن الشاويش: لقد جاءت

اللحظة الحاسمة! لقد ذهب أحد اللصوص مع «حسنة» ... ولا بد أن يكون اللسان الباقيان داخل هذا الكهف!

الشاويش: إنني أحمل مسدسي ... فلا تخف!
تختخ: قد يكونان مسلحين هما أيضًا، ومن الأفضل ألا تُعرّض حياتك للخطر، وفي الوقت نفسه سيعود الرجل الذي مشى مع «حسنة»، وأظن أنه سيوصلها إلى المحطة أو قريبًا منها ويعود.

الشاويش: ليتني ألقيت القبض عليه!
تختخ: لا ... هذا أفضل حتى نفاجئهم جميعًا.
مضى الوقت دون أن يظهر الرجل أو «صالح» و«سعد»، وقال الشاويش: إننا نضيّع وقتنا، هيا!

وافق «تختخ»، وقال: لقد فكرت في خطة بسيطة، أرجو أن تنجح ... إننا نريد الانفراد بكل واحد على حدة ... سألقي بطوبة داخل الكهف ... وأعتقد أن أحدهما سيخرج ... فقف أنت بجوار باب الكهف، واضربه على رأسه بمسدسك، وسأتولى أنا و«زنجر» الباقي ... وعلى «محب» أن يتبعنا بعد دخولنا.

تحسس «تختخ» الأرض حتى عثر على الحجر ... ثم اقترب من الكهف، وأشار للشاويش الذي سار بهدوء حتى وقف بجوار باب الكهف ... ورفع «تختخ» ذراعه، واستجمع قوته، ثم قذف بالحجر داخل الكهف.

مرت لحظات قليلة، ثم ظهر أحد الرجلين يحمل بندقية على باب الكهف، وفي ضربة سريعة مُحْكَمَة، وجّه الشاويش مسدسه إلى رأس الرجل ... ولم يتمالك «تختخ» نفسه من الإعجاب بالضربة، التي سقط الرجل على أثرها دون أن ينطق بكلمة واحدة. وسرعان ما قفز «تختخ» إلى الجانب الآخر لباب الكهف، وظهر الرجل الثاني ... وأطلق «تختخ» الكلب، فقفز عليه ... وصرخ الرجل رُعبًا، ولكنه لم يستمرّ في الصُراخ، فقد وجّه إليه «تختخ» لكمة أسكتته، وصاح الشاويش: لا تتحرك وإلا أطلقت الرصاص!

وجلس الرجل على الأرض مدهولًا، واندفع «زنجر» إلى الكهف، وخلفه «تختخ»، وفي طرف الكهف كان «عاطف» ... مُلقًى على الأرض، مُقَيّدًا ... وقد أغلقت فمه كمأمة من القماش ...

أسرع «عاطف» يحرك فمه ... الذي تبيّست عضلاته ... وبرغم المتاعب التي عاناها، ابتسم قائلاً: هل ما زالت الحلقة مستمرة؟

ودخل «محب» في هذه اللحظة، وأسرع يحتضن «عاطف»، دون كلمة واحدة. ظهر الشاويش عند الباب وهو يقتاد اللص أمامه، وقد شهر مسدسه، وبرغم أن «تختخ» و«عاطف» شاهدا الشاويش مئات المرات، فإنهما لم يريا على وجهه هذا التعبير الصارم الفخور وهو يزج اللص بطرف مسدسه، ويقول في ثقة: هل كل شيء على ما يرام؟ كيف حالك يا «عاطف»؟

رد «عاطف»: كيف حالك أنت؟

فجأة سمعوا صوت أقدام تقترب ... أشار الشاويش إلى اللص بمسدسه أن يقف في مدخل الكهف ... ووقف على مَبعدة منه، وأسرع «تختخ» و«محب» كل منهما إلى جانب الباب، وتوقفت الأقدام على مَبعدة، ولم يظهر أحد ... وفكر «تختخ» لحظات، ثم اقترب من الشاويش، وهمس في أذنه: ادفع اللص إلى الخارج، ومسدسك في ظهره؛ لنرى من القادم. نفذ الشاويش ما قاله «تختخ»، واتجه اللص إلى مدخل الكهف، وفجأة انقضَّ عليه شخصان، وانهارا عليه ضرباً ... حار الشاويش فيما حدث ... ولكن «تختخ» أسرع إليه، وأطلق خيطاً من الضوء على الصراع الدائر، ثم ضحك بصوت مرتفع. كان «صالح» و«سعد» هما اللذان انقضَّا على اللص.

صاح «تختخ»: هذا يكفي يا «صالح» أنت و«سعد»، فنحن المسيطرون على الموقف! وعندما توقَّف الصراع، قال «تختخ» متسائلاً: أين اللص الثالث؟ قال «صالح»: لقد أوصل «حسنة» إلى أول شارع مضاء، ثم عاد ونحن خلفه، وقد خَشِينَا أن يفاجئكم هنا، فقمنا بالواجب! تختخ: واجب؟ أي واجب؟

ابتسم «صالح» وهو يقول: نسيت أن أخبركم أنني بطل مدرسة «أم درمان» في الملاكمة، وقد انتهزتُ فرصة وجود اللص، وتمرنت فيه، إنه نائم الآن قريب من هنا، يحلم ...

تختخ: عظيم يا «صالح» ... إنك مغامر ممتاز! دخل الجميع إلى الكهف مرةً أخرى، وقال الشاويش — وهو يدير بصره في المكان: أين المجوهرات والنقود؟ لم يرد اللص ... وأخذ يقول: أي مجوهرات؟! وأي نقود؟! إنني لا أعرف عن أي شيء تتحدث!

اهتز شارب الشاويش غضباً وهو يقول: لا تضيع وقتي ... إنكم اللصوص الثلاثة الذين سرقوا منزل «حمزاوي» ... ونحن نعرف كل ما حدث ... منذ اتفاقكم مع «حسنة» حتى حُطِفَ «عاطف» ... وإذا لم تتحدث الآن، فسوف تتحدث بعد أن أضعك في الحبس! كان «تختخ» يراقب اللص مراقبة دقيقة، ويلاحظ كل ما يفعله، فقال للشاويش: لا داعي لأن تثير أعصابك يا حضرة الشاويش. أظن أن الحقيبة التي بها المجوهرات والنقود مدفونة هنا!

وتقدم «تختخ» من أحد أركان «الكهف»، ووجد كمية من الصخور مُكوّمة بطريقة ملفتة، وتقدّم «محب»، وساعده في إزالتها، ثم حفرا الرمال، وظهرت الحقيبة! اهتز الشاويش طرباً وهو يقول: لقد حققت وعدك يا «تختخ»، وطبعاً سوف نخبر المفتش «سامي» بما حدث! تختخ: سأقول للمفتش «سامي» إنك صاحب الفضل في القبض على العصابة؛ فلولاك لما استطعنا الوصول إلى هنا.

محب: أظن أن مهمتنا انتهت ... هيا بنا! تختخ: سنساعد الشاويش في ربط اللصين اللذين سقطا في المعركة؛ حتى لا يهربا ... وسنأخذ الثالث معنا، والباقي على الشاويش.

بعد ساعة من هذه النهاية المدهشة للغز اختفاء «عاطف»، وسرقة منزل «حمزاوي»، كان «محب» و«عاطف» و«تختخ» و«صالح» و«سعد» يقتربون من حديقة منزل «عاطف»، وكانت الأنوار ما زالت مضاءة فيها ... حيث كانت «نوسة» و«لوزة» في انتظارهم ... وقال «تختخ» وهم يقتربون: اتركوا «عاطف» يدخل وحده!

ودخل «عاطف» من باب الحديقة ... وسمع الأصدقاء صرختي فرح تنطلقان من «نوسة» و«لوزة»، وأسرعت الفتاتان إلى «عاطف»، الذي احتضن كل واحدة منهما بذراع! وبعد لحظات دخل بقية المغامرين — يتبعهم «زنجر»، وقال «تختخ»: أظن أننا نستحق عشاءً فاخراً يا «لوزة»!

ردت «لوزة» — والدنيا لا تتسع لفرحتها: ما زال عندي كمية كبيرة من الساندوتشات والفطائر وغيرها من الحفلة ... وسأطلب من الشغالة أن تُعدّ لكم الشاي باللبن.

تختخ: اللبن الزبادي؟

صالح: إنني أحب أن أعرف القصة كاملةً.

تختخ: سأروي استنتاجاتي ... وعلى «عاطف» أن يُصَحِّح المعلومات التي أخطئ فيها. وجلس الأصدقاء جميعاً، وعيونهم على «تختخ» الذي قال: اتفق اللصوص الثلاثة مع الشغالة «حسنة» على سرقة منزل «حمزاوي» ... وكان عليهم الانتظار حتى تخرج أسرة «حمزاوي» ذات ليلة ... وعرفت «حسنة» قبل الحادث بيوم أنهم سيخرجون لزيارة إحدى الأسر الصديقة في القاهرة ... وهكذا تشاجرت مع بائع اللبن الزبادي؛ حتى تضمن ألا يحضر الليلة التالية ... وترسل البواب لإحضار اللبن ... وحيث إن منزل «حمزاوي» بعيد عن السوق؛ فقد قدّرت أنه سيغيب بين ثلث ساعة إلى نصف ساعة. وكان اللصوص الثلاثة في مكان قريب ... وحسب الاتفاق، اتصلت بهم تليفونياً فحضرُوا! ودلّتهم أولاً على مكان المجوهرات والنقود، ثم أعطاهم أحدهم مخدّراً؛ لتبدو كضحية لهم، وتُبعد الشبهات عنها! وسكت «تختخ» لحظات وهو ينظر إلى «عاطف» و«سعد»، ثم قال: وكما نعرف، كان «سعد» يُعدُّ مفاجأة لـ «لوزة» في عيد ميلادها، ووضع الصواريخ في الكشك الخشبي، وجلس في الأرض الفضاء المجاورة استعداداً لإشعال الصواريخ ... وفي هذه اللحظة، كان اللصوص الثلاثة يتجهون إلى نهاية الشارع؛ ليدوروا حول الناصية، ثم يسيروا في الشارع المهجور؛ حيث كانت سيارة في انتظارهم ... ولكن حدث أن أحد أمناء الشرطة كان يمر راكباً «موتوسيكلًا» ... وطبعاً — وكما هي عادة اللصوص — خافوا أن يراهم أمين الشرطة، فقفزوا إلى أعلى السور، واختفوا بجوار الكشك الخشبي، وشاهدهم «سعد» من مكنمه ... ولكن اشتعال النار أخافه، فلم يُفكّر في البحث عن حقيقتهم ... أليس كذلك يا «سعد»؟

رد «سعد»: تماماً ... وكانت غلطة فظيعة!

ومضى «تختخ» يقول: وعندما انفجرت الصواريخ، وقطعت أسلاك الكهرباء، أسرع «عاطف» إلى الكشك، وكان الرجال الثلاثة قد استعدوا للقفز من السور، فشاهدهم «عاطف».

عاطف: لحظة واحدة يا «تختخ»! فعندما وصلت إلى الكشك، سمعتُ أصواتاً بجوار الكشك، فنظرتُ من النافذة ... وإذا بيد تمتدُّ لتُغلق فمي ... ويد أخرى تجذبني من نافذة الكشك، ثم أحسستُ بشيء ينغرس في ذراعي، وغبت عن الوعي.

تختخ: وبعدها حملوك عبر الأرض الفضاء إلى الشارع المهجور، وركبوا السيارة، وانتقلوا بها إلى «حلوان» ... وأنتم تعرفون الباقي.

قال «صالح»: إنني سعيد جداً باشتراككم معكم في هذه المغامرة. وعندما أعود إلى السودان، سأروي لأصدقائي ما حدث.

تختخ: وأرجو أن تحمل لهم تحياتنا ...

